

فانتازيا ذات مرة في الغرب



www.helmelarab.net



مقدمة

اسمها (عبير) ...

ثم يكن لها نصيب من اسمها ... فهي تنفجر إلى الجمال الذي يوحى به الاسم .. إنها مسرعة تحبلة بارزة عظام الوجنتين ، باردة الأطراف .. ترتجف رعباً من أو شيء وكل شيء ...

إنها حسي غير مثقفة .. وبكل المقاييس المعروفة لا تصلح كي تكون بطلتنا .. أو بطلة أو شخص مؤلفا .. هي لا تلهب الشمس ، ولا تعرف السباحة ، ولا تتود سيارات (الزالي) ، وليست عضواً في فريق لمكافحة الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن (عبير) - برغم ذلك - تملك أرق روح عرفتها في حياتي .. تملك إحساساً بالجمال ورفقاً بالكانات .. وتملك مع كل هذا خيالاً يسبح المحيط بكل ما فيه ...

لهذا أرى أن (عبير) هي ملكة جمال الأرواح ، إذا وجد لقب كهذا يوماً ما ..

ولهذا أرى أن (عبير) تستحق مكافأة صغيرة ... ستكون بطلتنا الدائمة .. ولسوف نتعلم مما كيف نحبها ونخلف عليها ونرتجف غراً إذا ما حلق بها مكروه

ولأن (عبير) تملك القدرة على الحلم .. ولأنها تختزن في مقعدها مئات الحكايات المسلية ، وآلاف الأحداث التي خلقها إبداع الأبناء عبر العصور ..

لذلك وقع عليها الاختيار كي ترحل إلى (فانتازيا) .. (فانتازيا) أرض الأحلام التي لا تنتهي ..

(فانتازيا) حيث كل شيء ممكن .. وكل حلم متاح .. (فانتازيا) جنة عاشقي الخيال

ولسوف نرحل جديفاً مع (عبير) .. سنضع حاجبتنا وعموماً في القطار لنذهب إلى (فانتازيا) ..

وهناك سننظم كيف نعلم ... إن سفير القطار يدوس ، والبخار ينصاع حول قطارته ..

هو ذا جرس المحطة يني .. إذن لنسرع ... لقد حان موعدنا مع الأحلام في (فانتازيا) ..

١ - صحارى أو كلاهما ..

لأنها تنتمى إلى هناك ١

هذا هو السبب الوحيد - أليسا أرى - الذى يجعل (شريف) يخضع بهذه البساطة لرغبة (عبير) العارمة فى العودة إلى (لانتازيا) ..

لأنها تنتمى إلى هناك !..

ليس (شريف) ضعيف الشخصية .. وليس أحق .. لهذا أرجح أن هذا هو السبب الوحيد الذى جعله يقبل .. إنها تنتمى إلى هناك !..

ربما قلنا : إن الإكتئاب داهمها بعد لحراق الجوال ..

ربما قلنا إن رتابة الحياة الزوجية تضايقها أحيانا ..

ربما قلنا إنها خيالية واهنة فى مواجهة الواقع ..

لا يهم .. فكل هذه كلمات .. وما أسهل الكلام .. أما

الحقائق فنقول بكل وضوح :

إنها تنتمى إلى هناك !

* * *

من جديد نقف (عبير) فوق الهضبة ترسم

(لانتازيا) تمتد أمامها إلى ما لا نهاية ..

٦

جاء (المرشد) فى رفق من ورائها .. عرفت قدومه

من صوت الـ (تنك - تنك) العميز لتقلم الذى بحمله ..

قال لها وهو يضع يده فى جيبه :

« مرحبا بك يا (أليس) ! »

« (أليس) ؟ »

« طبعاً .. (أليس) فى بلاد العجائب .. أنت أقرب

ما يكون إلى شخصيتها .. ألا ترين ذلك ؟ .. أنت ضيفتنا

فى أرض (أبدا - أبدا) كما يقول الإنجليز (٢) .. »

« فليكن اسمها (أبدا - أبدا) أو (هريدى) .

لا يهم .. المهم ألقى أحبها هكذا .. »

« لم تتأخري كثيرا فى العودة .. ألم أقل لك : إن

زيارتك ستزداد بعد الزواج ؟ »

أزاحت شعرها إلى جانب .. وهمت :

« بلى .. قلت لى .. لكنى .. أقسم - لست تعيسة أبدا

فى زواجى .. إن (شريف) ملاك حقيقى . ولم أكن

لأحلم بمثله خاصة فى ظروفى .. أنا التى لا أملك شيئا

ولا أتمتع بأية موهبة .. »

(٢) Never-never land

داعب القلم وثبت عياله في عينيها :

« .. ولكن ؟ »

« .. ولكن لا أجد طعم (فانتازيا) الساحر في أي شيء .. ثم إن (شريف) صار أكثر تشغلاً .. وأنا أحصل في عالمه ركنًا صغيرًا جدًا جوار عالم (الكمبيوتر) ، وعالم الإلكترونيات .. »

« .. تك تك ! »

ولبتسم في خيث .. وأرتب :

« .. خذ الحذر .. فلربما كان يرآب حديثًا هذا

الآن على شائعة (الكمبيوتر) الخاص به ! »

« .. ليته يفعل .. »

قال لها وهو يرمق الوادي البعيد :

« .. هل ترغبين في زيارة عتلك الباطن ؟ .. إن له

معنا هنا .. لكني أحذر من أنه لن تحب كل ما تريين

هناك .. إن هذا المكان يحوي أشنع أحقادك ورغباتك

وكل ما فشت فيه ، وكل ما تشين .. يقولون إن

ألفظ الوحوش هي نحن .. وأسوأ اللحظات هي حين

تلقين نفسك دون متار .. »

تنهت وقالت في مل :

« .. كان هذا يتقصني ! .. لا وحياتك .. دعني أجهل

عن نفسي كل ما لا أرتب في معرفتي .. »

« .. إذن هني نركب قطار الأحلام .. »

مر القطار جوار قلعة (دراكيولا) والبرق يضربها ..

فتتبدى معالمها للمروعة لتوان .. ثم يعود القلام ..

تنهت (عير) إذ تنقورت رحلتها المروعة داخل

هذه القلعة .. ومع البارون (هلسنج) ..

سألت (المرشد) في شرود :

« .. هل أستطيع أن أعود لذلك المكان مرة أخرى ؟ »

واصل ضبط القلم .. وعلم :

« .. سؤال غريب .. بالطبع تستطيعين .. لكن هل

أنت حقًا في تلك راضية ؟ .. نحن لم تر واحدًا في الألف

من (فانتازيا) بعد .. فلماذا نضيع وقتك ؟ »

« .. لا شيء .. كنت أسمع فحسب .. »

كانت تعلم بالعودة لتموت مع الجوال .. أو تخوض

مغامرة أخرى مع (-٠٧ -) .. أو تعرض مشكلة أخرى

على (هولمز) ..

لكنها لم تفس بعد ما قاله لها (المرشد) : إن

(فانتازيا) تنهد باستمرار .. وليس حتمًا أن تجد القصص حيث تركتها ..

كان هذا حين رأته وأبنا مترامبا تحرق الشمس
أرضه المتشقة .. نباتات الصبار في كل صوب ..
وأشود الوحشة تتردد دون كل ..

« أين نحن يا (مرشد) ؟ »

« هذه صحراء في الغرب الأمريكي .. إنه عالم
قصص (الستر) .. هل قرأت شيئا منها ؟ »

« ليس تماما .. إن (فانتازيا) تحوى خيرات
كثيرة استمنتها من جهاز (التلفزيون) أو السبعا »
« إن الخيال هو الخيال .. لكن السبعا تمليك نعمة
(التفكير) وهي المنفعة الكبرى التي نهيك بها القراء »

قالت وهي تشفق لتخلص من الشعور بالحرارة :
« هذا صحيح .. إن السبعا تضع خيالنا في قالب
معتب مبقا قد لا يروق كثيرا .. ولكن من مرة وأبوت
فيلما عن رواية شهيرة ثم زلزلني الشعور بأن (الأمور
لم تكن هكذا في خيالي) ..

ثم نظرت خارج الفطار وهتفت :

« دعنا نجرب هذا العالم أربا (المرشد) .. »

« إن أحلامك حقائق يا (أليس) .. »

« (عبير) ! »

« يا (عبير) ! »

وجنب الحبل : لوقف الفطار .

مساعدنا على النزول .. وكانت هناك جمجمة لثور يرى
قوى الرمال تحاشتها (عبير) .. ونظرت إلى الأفق :

« هل سيحدث شيء ما ؟ »

قال لها وهو يتسم كاتما يخاطب طفلا :

« طبعا .. ليس من مصلحة أحد شيك حبة في هذا
الجحيم .. لو أنك هلكت ستزول (فانتازيا) من
الوجود .. وسأجد نفسي دون عمل .. »

لم تضعك .. وسألته بصيغة ومعية :

« من أنا هذه المرة ؟ »

فألمها في المنام .. ثم عظم :

« لخر .. إن ملامحك لا تصلح لتكويتي مهاجرة
أمريكية من الشرق .. أو خادمة سيفية .. إن متكونين
(صخرة الماء) .. لك أصل هندي وأب أمريكي .. »

« (صخرة الماء ؟) » - ومطت شفيتها مغمرة -

« لا بأس به .. فيه شاعرية فظة .. كانت أمي تدلني
أحيانا به (طوبة) .. لكن ذلك كان في أوقات الرضا
بشكل خاص .. »

« من يرى .. ؟ .. لعل (صخرة الماء) تكرر

للاسم ذاته من عفتك الباطن .. »

وحين نظرت (عبيد) إلى قلميها : عرفت أنها
ترقدى حذاء من جلد الجاموس .. وثوبها طويلاً من ذات
الجلد .. وعرفت أن هناك خفيّتين جميكتين على
كتفها .. وخنجرًا في ثقاتها .. كما عرفت أن صاحبها
لمنلاً بالحلي والأساور ..
أما آخر ما عرفته ، فهو أن (الموشد) رجل
كالمعدة ..

* * *

٢ - إخوان الدم ..

الشمس تنحدر غرباً ، وقد بلغ حجم قرصها حداً غيـر
معتول .. حمراء بلون الدم نخضب الزمائل بمثلها ..
نقد وجدت (أمربا) لأن بعض مكان الشرق
صمموا على أن يطاروا هذا القوس الأحمر في رحلته
المحمومة نحو الغرب .. ولأن يلحقوا به قبل أن يذوب
لأبد في مياه المحيط السرمديّة

* * *

في ضوء الغروب الأرجواني تتقدم ستة أقراص في
تؤدة .. يقطع عليها الطريق لرس سابع ..
و (عبيد) لا ترى وجوه الراكبين ، لكنها - بوضوح -
تري ظلالهم .. وتمزج أنهم يرتدون قبعات واسعة .
وجاهات تتظاهر أظرافها كلما تحركت الخيول
الأكبر من نصف صفاً واحداً كما أنها هي بانتظار شيء ما .
بعد دقائق يدوي صوت رائب الخرس المسابع . وقد
وقف أمامهم كأنما يوقى عليهم حاضرة :

« ماذا تبحثون ؟ »

« الدم ! »

يدوى الصوت جماعياً رعباً صادراً من سميت حناجر
غاضبة .. ويهول الأول يسألهم :

« وماذا جاء بهم ؟ »

« الدم ! »

« كم تدفون لأجله ؟ »

« أرواحنا ! »

« متى تكفون ؟ »

« حين نرتوى ! »

« وحتى ترتوون ؟ »

« حين يسود العدل ، وتقام العملان جوار السباع ! »

« إخوان ؟ »

« إخوان الدم ! »

وعاد السكون يسبح عثنه ببطء فوق الرمال ، بعد
ما مزقه الصيحات - وعرفت (عبير) أن ما جرى هو
نوع من الطغوس تمارسها جماعة ما .. نوع من ترويد
مبتلى العهد ..

ولكن من هؤلاء ؟ وماذا يريدون غير الدم ؟؟

هى - عموماً - غير راعية فى تقديم نفسها إلى
هؤلاء السادة ذوي الميول النموية ..

ولمحت خيولهم تنصرف من موضعها ، حيث رفقت

على بضنها فوق الرمال ترمى ما يحدث فوق مرتفع
سبعة ظلال مهيبة تبتعد نحو الغرب .. نحو قرص
الشمس الهائل ذاته ، كأنما لتذوب فيه ..

وحين رحلوا - أخيراً - راحت نهيط المرتفع ..
با لرشاقتها .. إنها تشعر بأنّها أخف من أنجب
صغير .. وهى تجيد الاتزلاق على الرمال - كأنما تفعل
هذا منذ صغرها ..

سمعت صوت همهمة ..

لم يكن هذا سوى جواد .. جواد وشيق بارع الجمال
يقف بانتظارها وقد راح يعاين الرمال بحافره ..
وأدركت أن هذا هو جوادها بالذات ..

نفت منه وربت على منخره مناعية .. هى لم تلمس
جواداً فى حياتها ، لكنها تحب الجياد بجنون .. إن
العلاقة بين المرأة والجواد لعلاقة أزلية أسطورية
تحتاج إلى خبير فى علم النفس ليقسرها .. ما هو أول
حلم نراه أثناء مراعاة ؟

دائماً هو حلم الفارس الذى يخطفها فوق حصان
أبيض ..

إن الحصان هو معادل لروح الأنتى القلقة الراحبة
فى الفراغ .. بعيداً .. بعيداً ..

ولم يكن الحصان مسرجاً .. لكنها أفرجت أنها قادرة
حتفاً على ركوبه .. لم لا ؟ .. أليست هندية .. ؟ ..
أليست هذه (فاتناريا) ؟ ..
وبالفعل ..

وثبت دون جهد إلى ظهره ، ونفت مسانيتها حول
جذعه .. ثم ضربت عتقه براحتها ، فانتطقت برعص
فوق الرمال ..

إلى أين ؟ .. لا تترى ..
بالتأكيد هو يعرف .. أما هي فقد ذابت في هذا الحلم
الذي لا يوصف .. إنها تركب جواداً يتعلق بها نحو
قرص الشمس القارب ..

الموجودات تبرد .. واللون الأرجواني يدخل نطاق
الأزرق ..

وحرارة الجو تقل تدريجياً ..
ومن بعيد ترى أشجاراً .. وناراً .. وبشرًا ...

* * *

كان المشهد مغطاً إلى حد غير عادي ، ولم تحسب
قط أن كل هذا ممكن .. وأن خيالها بهذه الخصوصية ..
مسكر هندی كامل متكامل .. بخيامه المزركشة ..



سبعة ظلال مهيبة ليتمد نحو الغرب .. نحو قرص
الشمس الهائل ذاته كأنما لتذوب فيه ..

وخيله .. وأطفاله الغراء .. وكلابه .. ونسائه الثواتي
 ينشرون اللحم المقدد على حبال كحبال التفصيل .. ورجاله
 الجالسين حول النار .. والطوبم الواقف في منتصف
 المكان .. عمود طويل من الخشب نقشت عليه وجوه
 مخيفة مجسمة ..

وقفت مشدوة ترمق كل هذا ، وتصلبت أناملها
 حول علق الجواد .. بالتأكيد هي تنتمي إلى هنا ..
 رأيت رجلاً عاري الجذع قد حلق أكثر شعر رأسه
 تاركاً خصلة في المنتصف ، كما يفعل شباب هذه الأيام
 بموضة (البانك) .. وأنه يتقدم منها وعلى وجهه
 علامات الفساول فيساعدنا - بيد فولاذية - على النزول
 من فوق ظهر الجواد ..

ثم يسألنا بصوت خشن :

« ماذا وجدت (صخرة الماء) ؟ »

كان يتحدث بلغة غريبة مليئة بالهاءات والواوات ..
 لكنها تفهمه تماماً .. كما هي العادة في (فانازيا)
 حيث لم تعد اللغة تمثل مشكلة من أي نوع ..

فكثت بصوت ممات في الخشونة ، وبذات اللغة :

« (صخرة الماء) وجدت وجوهاً صاحبة .. سبعة »

« وماذا كانوا يبحثون ؟ »

« تحدثوا عن الدم .. قسم الدم .. »

« آه ! »

حتى تعبيراتها صارت مختلفة .. شاعرية قليلًا ..
 كما تعود الهنود الحمر أن يتكلموا في كل الإفلام التي
 رأتها ..

فأدنا الرجل إلى مجلس النار .. فرأت حوالي
 خمسين رجلاً جالسين حول عجوز متهمة .. وإن بدا أنه
 يمثل ثقل الزعامة هنا .. له عيان ذابلقان زجاجيتان ،
 وفم جلقه التجاعيد كثرة طماطم لمسيها شهرين في
 شلجك ..

وكان يدخن من ذلك الغليون الطويل المطلق به
 ريش ، والذي يدخنونه دومًا ..

جئست جوار الرجل الأول بفرب العجوز .. وانتظرت
 أن يحدث شيء ما .. لكن شيئاً لم يحدث ..

ربع ساعة كامل من الصمت الذي له رائحة للتعب !
 متى يتكلم هؤلاء الحمقى إذن ؟ ..

بعد ربع ساعة آخر بصق العجوز في النار .. وناول
 غليونه للجالس جواره .. وهنا قال له الأول :

« يا خمسة نمور .. إن (صخرة الماء) قد عاثت من جوتها .. »

« هوروروم ! »

« تكول : إن هناك وجوها شامية .. »

« هوروروم ! »

« من المحظور عليهم دخول أرض (السوكن) . »

« هوروروم ! »

« إن (نو الدامل) يرى - بوصفه ابن (خمسة نمور) - أن هذا غرق للهنة لن يمر دون عقاب .. »

« هوروروم ! »

ونهض الغنى - الذي عرفنا أنه (نو الدامل) - وأخرج قلمنا صغيراً من نطاقه .. ولوح به عائلاً :

« الموت لتوجوه الشامية .. إن الطيب فيهم هو الميت ! »

فتعالت صراخ الرجال وأيقظا كسحلية مصابة بالبوسير :

« هـ هـ هـ هـ هـ الموت لهم ! هـ هـ هـ هـ هـ ! »

جلست (عبير) مكتعة الوجه ترمق هذا الذي يحدث ..

كل شيء يبدو واقعياً مخيفاً مريعاً ..

إن هذا الجو الوحشي الوثني لا يناسبها حتماً .. خاصة أنها - للمرة الثانية - تذكر أنها تلعب دور المظهر أو الجنسوس ..

في المرة الأولى مع (جالكتينا) لمرى مجرة أخرى .. والآن مع (السوكن) ما هنا ..

شحب وجهها .. ثم تذكرت أنها نتحرف بحييتها لو صفت وجهها شامياً .. من ثم اكتكت بأن يمتقع وجهها ! للمرة الأولى تسمع صوت الزعيم يقول شيئاً آخر غير الـ (هوروم) ..

وكان صوتاً واقعياً فيه برد للشقاء وحرارة :

« - إنني أنتظر التحاق بأجدادي في أية لحظة .. لكني أكره أن أترك أبنتي الثمالية يتخطون في السماء .. إن الوجوه الشامية أكلوا ولديهم مدافع .. لهذا أرى أنه من الشجاعة أن نقرئ ونعرف نوابههم .. قد يكون من وأنهم (صخرة الماء) عليهم سبيل ضلوا الطريق .. المحروب يا أبنتي لا تبدأ من استنقر غير متصود .. ولري أن الحواب يقتضي أن نعرف المزيد عنهم وعن نوابههم ، و (صخرة الماء) خير من يفعل .. لأنها نصرف لفتهم ولأنها منهم من ناحية الأب .. ولأن

(خمسة نمور) يعرف أنها هندية تماما برغم ما لوث
لها من نماء الوجوه الشاحبة »

ومذ يده يتناول القليوبن .. وأردف :

« لقد قال (خمسة نمور) كلمته ! »

عندئذ ساد الصمت ..

وعرفت (عبير) أن مهمتها قد تحددت ..

ولا مجال للنقاش ..

٢ - خمسة نمورية ..

دخلت (عبير) إلى الخيمة التي فهمت أنها دارها ..
داخل الخيمة مظلم لكنه رطيب منض ..

وكانت هناك جلود عديدة مقطعة ، ومزققة على
الأرض ، وعجوز جالسة تلتهم شيئا ما في طبق ..
فما إن رأته (عبير) داخلية حتى هتفت :

« عذرك بعض القليل .. يمكن أن تأكله .. »

تحمست (عبير) المكان في حذر .. وجلست جوار
العزاة وتأملت لها .. هذا ما توقعت منذ سمعت الصوت ..
إنها أمها .. في الواقع وفي الخيال .. هي ذاتها ..

لشد ما أبدى (دي - جي - ٢) براعة مذهلة في
وضع التلميحات المتممة لوجه العجوز الطيب .. لقد
ضفر خصلات شعرها الأثميب .. وجعلها ترتدى ثوبا من
جلد الثيران .. وأضاف بعض تجاعيد (هندية) على
ركني لحمها ..

طبعاً لم تحدثها (عبير) عن (غمرة) وعن حياتهما ..
بل ستحدثها باعتبارها عجوز (الميركس) .. أمها .
قالت (عبير) وهي تلتهم ما يظنها :

« الزعيم يريد أن تذهب (صفرة الماء) إلى
الوجوه الشاحبة .. »

« حسناً وأى .. وماذا قال أخوك ؟ »

« أخى ؟ »

« نعم .. (ذو النمام) .. كيف يرى ذهابك ؟ »

إن (ذو النمام) هو أخوها .. ولكن كيف ؟ .. لابد
أن أمها تزوجت مرتين .. ولكن معنى هذا أن الزعيم
الهندي تزوج من مطلقة الرجل الأبيض .. فكيف ؟ ..
قالت الأم وهي تلوك شيئاً :

« أنت شجاعة كأبيك .. كان خير من يضرج
الثيران بالدماء ، ولكم من مرّ رمى بنفسه إلى أحضان
لب شالر ، ليمزقه بموتته .. »

وحين قال لى (أبوك بما بصقة الجاموس) .. لم
أسطيع أن أرد .. جريت إلى خيمتى وركبته ولقنا جوار
النيبورغ غير فاهم لشيء .. كان يتردد علينا كثيراً ..
ليبيع لنا التبغ والبضائع .. الجموع كان يحبه وخاصة
أنا ، لكن فوتين (السيوكس) صارمة .. لا يمكن لذى
وجه شاحب أن يتزوج فتاة هندية .. وقررت معه لى
لوفة صيف باسمه .. مضينا إلى الوديان البعيدة وبنينا

عزناً عشناً فيه .. وتزوجنا .. ورزقنا بك .. كانت
تلك أياماً مجيدة .. ! »

قالت (عبير) محاولة أن تبدو عظيمة بالأمر :

« أظن أن قتل الهنود له كان ألوما ؟ »

« لم يقتله الهنود .. بل نوى الوجوه الشاحبة .. »

كيف سميت ذلك ؟ .. وعدت بك إلى هنا .. فوافق الزعيم
على أن نعود للاتصاف إلى القبيلة .. بل وزوجنى ابنه
(خمسة نمور) لأنه كان يحبنى منذ زمن بعيد ..
وهكذا اليوم زوجة الزعيم وأم أولاده (ذو النمام) ،
و (الماشى للخلف) و (الكلب السعران) و (السنجاب
الأجرب) .. وأنت ! »

هكذا قهرت (عبير) العلاقات الأسرية المعقدة
المحيطة بها ، وإن لم تستغ قط أسماء إخوتها من
الأب .. لهى أسماء غير مشرفة ولا توحي بالثقة
عوضاً ..

ودعتها المرأة إلى النوم ، لمعدت جسدها المنهك
لنوى الحشية شاعرة بقسوة الأرض وخشونتها ..

وأغمضت عينها .. وراحت تحلم ..

تحلم بالمدرسة .. ومكتب (الكمبيوتر) .. و (شريف) ..

تَمَا قَلْنَا أَنفَا .. مِنْ الطَّبِيعَى فِى الْحَلَمِ أَنْ نَحْلُم
بِالْوَاقِعِ .. كَمَا أَنَّ نَفْسَ التَّلَى إِثْبَاتٌ ..

سَحَتْ مِنَ النُّومِ شَاعِرَةٌ بِشَعُورِ أَلْفِ لَحْنٍ رَكَلْتَهُمْ
أَحْدِيَةُ أَلْفِ شَرَطَى قَطْ ، إِذْ قَبِضَ عَلَيْهِمْ مُتَلَبِّسِينَ بِالنَّشْلِ
فِى الزَّحَامِ ..

وَأَدْرَعْتُ أَنَّ هُنَاكَ مِنْ يَهْزُهَا .. كَمَا فَرَكْتُ أَنَّ النِّبْكَ
يَصْبِيحُ ثَلَاثًا .. وَفَرَكْتُ أَنَّ الظَّلَامَ مُكِيمٌ بِالْخَارِجِ ..
عَامَتْ تَوَاصَلَ النُّومِ .. لَكِنْ الْهَزَاتُ صَارَتْ لَكَثُرٍ
عَنْفًا .

وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ لَهَا :

« هِيَ ..!.. قَدْ نَآخَرَ اتَوَقَّتْ ! »

صَاحَتْ فِى حَنَقٍ :

« مَا الَّذِى نَآخَرَ ؟ .. مَا زَالِ الظَّلَامُ دَائِمًا ! »

« إِنَّهُ الْفَجْرُ يَا (صَخْرَةُ الْمَاءِ) .. وَقَدْ صَاحَ الدُّيُوكُ
ثَلَاثًا .. »

نَهَضَتْ مَفْكُكَةُ الْأَوْصَالِ مَنَحْرَفَةَ الْمَزَاجِ .. فَوَجِئَتْ
جَوَارِهَا طَبَقًا مَائِلًا بِالنَّدَبِ .. دَسَتْ فِى لَفْهَى حَفَنَتَيْنِ
مَتَّه .

وَأَخْرَجَتْ مِنَ الْخِيَمَةِ لِتَرَوْهُ الظَّلَامَ عَلَى كُلِّ مَكَانٍ ،

وَرَأَتْ قَتِيلَاتٍ بِحِمْلَتَيْنِ بَعْضُ الْجَرَارِ الْفَخَّارِيَّةِ .. خَطَرَ
لَهَا أَنَّ الْمَوْتَةَ - فِى كُلِّ مَدَانٍ - يَكُونُ عَلَيْهَا أَنْ تَحْمَلَ
جِرَّةَ قَخَّارِيَّةٍ فِى الْفَجْرِ ذَاهِبَةً إِلَى النَّهْرِ .. هَذَا هُوَ
قَدْرُهَا .

حَمَلَتْ جَرَّتَهَا عَلَى رَأْسِهَا وَمَشَتْ وَرَاءَهُنَّ ، وَهَى
تَسْبَ وَتَلْعَنُ فِى مَرَا .. كُلُّ شَيْءٍ .. الصَّبَاحُ وَالذَّيْءُ
وَالنَّهْرُ .. كُلُّ هَذَا بِمَعْنَى أَنْ يَنْتَظِرَ قَلِيلًا رِيثًا تَتَالَى قَسَطًا
مِنَ النَّوْمِ ..

رَاحَتْ الْفَتَيَاتُ يَمَازِجُنَهَا .. وَعِنْدَ النَّهْرِ فَتَنَتْ إِجْدَاهُنَّ
وَجْهَهَا بِرَاحَتَيْنِ مَلِيئَتَيْنِ بِالْمَاءِ .. ، وَأَهْرَعَتْ (عَبِيرُ)
أَنَّهَا مَصْدَرُ تَسْلِيَةٍ وَمَسْخُوفَةٍ دَائِعَتَيْنِ لِلْفَتَيَاتِ لِأَنَّهَا
(خَلَّاسِيَّةٌ) .. وَلَآنَ مَنَبَتُهَا لَيْسَ هُنْدِيًّا نَفْثِيًّا تَمَامًا ..
حَتَّى وَلَوْ كَانَ الزَّعِيمُ هُوَ زَوْجُ أُمِّهَا ..

جَلَسَتْ عَلَى حَاقَةِ الْمَاءِ وَرَاحَتْ نَعْلًا جَرَّتَهَا ..
وَتَرَمَقَ فِى الْمَاءِ صَوْرَتُهَا الَّتِى رَاقَتْ نَهَا كَثِيرًا ..
فَجَاءَ دَوَى صَوْتِ الْغُرَيْرِ ..

إِنَّ صَوْتَ الْقَبِيَّةِ لَيْسَ خَرِيرًا قَاسِبًا .. بَلْ هُوَ مَزِيحٌ
مِنْ هَدِيرٍ وَزَنِيرٍ وَخَوَلَرٍ وَعَوَاءٍ وَغَطِيطٍ .. لَا يُمْكِنُ
لِلْقِظَةِ وَاحِدَةً أَنْ تَصْفَقَهُ .

خطر لها هذا وهي تسمع الصوت .. ونسمع صراخ
الفتيات .. ثم تكبر رأسهما لتري ذلك الجبل الأشهب
الصلق المكسوب بالقراء ؛ يبرز من وراء الأشجار في
ضوء القجر الأرجواني البكر ..

ورائه يهرع نحوهن قرد أربع .. دب أشهب من
التنوع لذي يسميه نوو للوجود الشاحبة (جريزلي) ..
كانت سرعته لا تصدق .. لم تتخيل قط أنه قادر على
هذا الانقضاض ..

وهين وقف على قدميه الخلفيتين ، ووجه ضربة
بيد المخلبية إلى الفتاة الأولى .. سمعت (عجير)
فقرات عنق الفتاة وهي تتلهم .. وصفتت الفتاة
أرضاً .. انقضت عنقها .. ثم علا يهرول فاسداً حشد
الفتيات التواتي ولولن .. ورمين الجرار أرضاً ورحن
يجريين هنا وهناك ..

إنه قائم لي .. !

كانت تعرف هذا وتؤمن به ..

لن يتركها .. سيخارها هي بالذات .. دون الأخريات .
بالفعل وأنه يركض نحوها على أربع .. وللعلاب مع
الدم وتطير من فيه .. السننم الصلبي بين كتفيه
يهتز .. والنضب الجشح يتعمق في عتيه .. ر ..

لم تحاول الهرب .. أنصت ظهرها بشجرة وانتظرت .
رعتها تصطب الدبة .. كفة عن التضخم في عنقها ..
وقفت على قدميه الخلفيتين ، وأطلق صرخة منوية
عائقة ارتجت لها الأرجاء .. ولحرت للطيور من
أعشاشها .. تلك الطيور التي لم تكف الاستوقظ مكرراً .

وهوى الجسد العملاق فوق الكلا بتحسّر ..

ثم همت حركته نماما ..

وهين فتحت عنقها ؛ كانت أسداً طليقة للرصاص
تفرند في الأجواء .. ورأت فارساً يركب جواداً وقد
أمسك ببندقية بعيد حنوها بالرصاص ..

كان يرتدى قبة .. وثاماً .. وعلى كتفيه عباءة
تتطاير أطرافها في الهواء .. والنخان ما زال يبعث من
قوة سلاحه ..

وقف ثابتيين ليري ما إذا كان الدبة ما زال حياً —

ثم جنب لجنب قمره ، قانطلق . ليختل بين الأشجار .

* * *

إخوان السم ! !

حنماً هر منهم .. يلبس منهم .. ويبدو منهم ..

وقد أنفذ حباتها في اللحظة الأخيرة ..

* * *



كان يرتدي لبة .. ولثاماً .. وعلى كتفيه حياء
تتطاير أطرافها في الهواء ..

فيما بعد قال لها (ذو الدماطل) :

« لا عليك .. إن مهاجمة الدنيا للقنوة عند التهر
جزء تقيدى فى أية قصة تدور عند الهنود .. لابد من
دب .. لكن المشكلة تكمن فى الرصاصة .. من صاحب
هذه الرصاصة التى آتفت حياة (ذو الدماطل) ؟ .. »
فألت له للمرة الرابعة :

« لم أره .. جاءت الرصاصة من بين الأشجار .. »
قال وهو يبرى رأس السهم الذى يمسكه :
« لقد مشط رجالنا وعشاقونا الأشجار .. ووصلوا
حتى وادى الهلاك .. لكنهم لم يجدوا له أثرًا .. »
ثم أوقف وهو يضع السهم فى قرايه :
« يجب أن تذهبنى غيذاً إلى الوجوه الشاحبة :
لتعرفلى نوابيهم .. »

وكيف ذلك يا (ذو الدماطل) ؟

إن الأمر ليس يسيراً .. فلن تذهب (صخرة الماء)
إليهم كأمراة نصف هندية .. إن الوجوه الشاحبة
لصوص وأوغاد .. ولن يرحموها .. سيكون عليها
أن تتكرر ، ترتدى ثياب السماء هناك .. وتضع ظلام

شاحنا على بشرتها من دهن الجاموس .. وتثبت شعرا
أشقر على شعرها ..

الملايس أرها حين .. لدينا ثياب امرأة ببضاء كنا
قد هاجمنا عربة المسافرين التي نقلها منذ عام ..
صحيح أنها منوثة بالدماء لكن النسوة موف وفصلتها
جيدا ..

الشعر كذلك حين .. لدينا فروة وأس ذات المرأة ..
وكنا قد سلفنا ما لحسن الحظ .. إن (الآباء) العمسى
لا يحبون سلخ الرؤوس ، وهذا يقلل حصيلتهم من
الشعر المستعار ..

أما عن اللغة .. فأنت تجيبينها تماما ..
يولى المبرور لكبرك ..

وهذا سهل .. منهاجم عربة مسافرين وتدمرها ..
بعد هذا تلقين جوارها تكيين .. إلى أن تصر عربة
أخرى .. عندئذ تدعين أن الهند هاجموا العربى التى
كنت بها ، وأنت نجوت بمعجزة .. وتطلبين توصيلك
إلى المقيمة ..

والى المقيمة تريد منك أن تفتحى عينيك وأنتوك كقط
برى يتسأل .. ما هى نوابهاهم ؟ من أولئك المتمسكون
قرب حدودنا ؟ هل توجد حاميات للجنود الزرق ؟

وحين تثبت .. تفترق فى جتح الظلام عائدة لنا ..
لا تسمى أن تأخذ هذه النويذة .. ضعيها حول عنقك
حتى تحميك .. وخذ هذه أيضا .. إن الوجوه الشاحبة
تستعملها فى التناء الأشياء .. يسمونها (دولارات) ..
لهم مختلفون لا يحبون نظام المقايضة .. بل هم
لا يرون أهمية للملح ولا التبغ ولا الحلى الزجاجية
الملوثة .. إنسى لأسفل نطسى عما إذا كان هناك حذ
للغناء البشرى ..

* * *

وهكذا ..

تروى (عجير) الآن وقد تبدلت تماما .. هى الآن
أمريكية شقراء ترتدى ثوبه واسعة مزركشة وقميصا
أبيض .. وقد نهضت خصلك الشعر الذهبى على
كتفها .. وبدا عليها الإصغاء ووعظاء السفر ..

نقف جوار حطام محترق لعربة مسافرين وتصاعد
منها الدخان .. وقد امتلأ جدرانها بالسهم الهندية ذات
الريش .. وهى سهم من النوع الذى يستعمله (الآباء)
طيفا وليس (السيوكس) .. وثمة بلطة ملقاة على
الأرض .. ورجلان سم سلخ فروة وأسيهما .. وشمرغ
وجهاهما المينان فى الرمال ..

تختم أن يكون الإسكافي (ثملاً) وأحمر الأكسف
(كسوطان البحر المملوك) ..

قال لها وهو ينزع قبعتها : ليبدو راقيا :

« من أنت يا سيدتى ؟ »

« أنا .. أنا (شارون ستون) .. من (أوهايو) »

لم تجد اسمًا أمريكيًا آخر في ذمتها سوى اسم هذه
التمثلة التي ترى صورتها أحيانًا في صفحة السيئنا
بالتجريدة ... من العسير أن تجد اسمًا حين تبحث عنه ...
وعلى كل حال واضح أن الحوذى لا يتابع السيئنا
العالمية لحسن الحظ ..

« « إنني .. أركبي .. نحن ذاهبون إلى (هيل تاون) (*) »

برشافة دارت (عبر) وفتحت باب العربة الخشبي ..
وصعدت تقسم جسدها بين الركاب ..

وبدأت العربة تتأرجح ببطء نحو المدينة ..

لقد انتهى الجزء الأول من القصة ..

دون مشكلات ..

* * *

(*) مدينة الجحيم

الطريق يمتد إلى بعد في الصحراء .. والقبض يحرق
بشرتها .. فتد يداه إلى قربة الماء تجرع منها عدة
جرعات ..

والآن نرى غبارًا في الأفق ..

وترى عربة نجرها أربعة جياد .. يلهب ظهرها
بالصوت حوذى يلين يضع زجاجة خمر في جيبه ..

العربة تدنو أكثر .. والآن يراها الحوذى فيشد اللجام
بغف وتغرس الحوافر في الرمال ..

« أوهميه !.. فتاة هائلة ! »

فتدنو منه (عبر) لتقول لاهثة :

« (الأباش) ! هاجموا العربة .. نجوت بأعجوبة ! »

هرش الرجل عنقه ورأسه .. وتجشأ .. وقال :

« تبًا لهؤلاء التوتيين .. إن الهندي الطيب هو

الذي مات .. إن الجنرال (سكوت) يعرف حقًا كيف

يعامل هؤلاء .. »

كان ثملاً .. عرفت هذا من أنفه المحمر الغارق في

العرق ..

هذه هي قواعد قصص (الوسترن) .. الحوذى لابد

أن يكون بديلاً ثملاً .. كما أن قواعد القصص الروسية

٤ - إلى (هيل تاون) ..

راعت (عير) في حذر تتأمل للجالسين معها في
العربة ..

أما هذا البنين المتأنق الذي استرخى كرسيه أمامه ،
واسترخت كفاه متشابكتين على كرسيه ، وأرجع رأسه
للوراء غارفاً في غطيظ عال .. فهو نمط .. نمط الثرى
الاستغلالى الجبان إلى حد ما .. إنه من أنماط البشر
التي لا تحتاج لمزيد من التصقق .. كما أنك لمست في
حاجة لشرب كوب العسير كله ، لتعرف أنه حامض ..

أما هذه المرأة التي ترفى نقاتها على وجهها ، تبدو
من وراء عيناها الفلانتان الننان تومنان (عير)
كغراب .. فلا يمكن التكهّن بشخصيتها ..

بعد هذا يوجد كهل يرتدى السواد ، وقبعة سوداء
على رأسه .. ويمسك الكتاب المقدس بطالعه في
أفهامه .. إنه واعظ من الوعاظ الذين يجوبون الغرب
بلا شك ..

ثم .. أخيراً - الشاب المتأنق ذو الشارب الرابح
الجميل ، الذي يقول : إن صاحبه يعاني حالة هيلم

ملرط بذاته .. ولم ينفك بنأملها باعتبار هذا واجب
القدور نحو أية فتاة شابة ..

بعد ثوانٍ تعثت المرأة ، لتتناول من حقيبتها القماشية
شيئاً ما .. وفأولته له (عير) ..

كان هذا الشيء شطيرة .. وقالت له (عير) في
سرامة :

« لا بد أنك جائعة .. »

أقسمت (عير) فضمة ، وبغم مليء بالطعام
غضت :

« حقاً .. أشكرك .. »

« إن شكك هروغ ! .. »

« لقد هاجمتني (الأناش) منذ دقائق .. »

« هذا ليس مبرراً .. » - ومطت شفتيها مشعلزة -

« المرأة الأنيقة تظل أنيقة حتى وهي في معدة حوت ! »

« ربما ... »

« ولماذا تسألين وحدي ؟ »

« أوه .. كنت مع زوجي .. لكن (الأناش) ... »

« هذا ليس عذراً .. » - ثم قالت في تأفف :

« المرأة الطاهرة تفضل الموت مع زوجها على أن

تسافر وحدها ! »

هنا فهنت (عبير) ما يحدث .. إن هذه المرأة هي نموذج للعنس التي تمقت الكون والناس ؛ ونتيجة لهذا تغزو من غلاة المتطهرين وظيفية المدافعين عن الفضائل .. وهي تجد ذاتها في يوم الآخرين وانقادم . وهنا اهتزت العربة قطارت المرأة لأعلى ؛ ليصطدم رأسها بسقف العربة .. وسقطت على مقدمها متهكة تقطم :

« إن هذه المتطهات ... »

في التعلل عتيق قالت (عبير) :

« هذا ليس مبررا .. المرأة الوحور لا يصطدم

رأسها بسقف العربة أبدا . ! »

« هذا حق . سامحيني .. »

اتحنى الشاب في رقة ، ونزع قبعة .. وسلط عينيه البينيتين - اللتين يظن أنهما متنعلتان بتأثير فتاك - على (عبير) وقال :

« لا بد أنما كانت تجربة قاسية يا سيد ؟ »

« (سنون) .. (شارون ستون) .. »

قال في مزبد من التعلل :

« أنا (جيف جولديوم) .. محاسب أما الامة فهي من (بلومر) .. (إماليا بلومر)^(*) وهي في زيارة لشقيقتها في (هيل ناون) أما هذا »
وأشار إلى الرجل الغافى .

« .. فهو مسر (فيك جاك) . تاجر من كبار التجار في الشرق .. أما الأنثى .. »
وأشار إلى صاحب الثياب السوداء :

« فهو الأنثى (جيمس كاترين) .. »

هو الرجل رأسه في وقار وانتم يركن فيه ثم راصل القراءة في اهتمام

« واعظ من الشرق يريد أن يعيد كل هؤلاء الخطاة إلى جادة الصواب . »

وهنا صاح الحوى من مقعد ، وهو يجذب اللجام :

« يا للعنة .. عصابة الـ (باتيتس) ! »

« ماذا ؟ »

بدا اللعز على الجالسين بالعربة ، ونوثر الحميع ..

(*) (إماليا بلومر) هي فتاة التي سميت امرأة الأمريكية حق الانتخاب . يشهد من مصانعة

ونظرت (عبير) من النافذة لترى أربعة رجال على ظهور خيولهم يتكلمون ليسدوا طريق العربية ، وكان هناك جذع شجرة غنية ساقط بالعرض ، ليزيد صعوبة التمرير .. لا تترى من أين جاءوا به هنا ..

صاحت العالمين في غل :

.. « لا بد أنك نمرس .. أولاً هاجمك الهندود والآن هؤلاء الأوغاد .. »

كسالت (عبير) تتحج بأن هجوم الهندود كان أكثوبة .. لكنها لم تستطع أن تقول هذا بالطبع ، وراحت تراقب ما يحدث في قفئ ..

سمعت أحد الرجال يحدث السائق بلغة لظنة :

.. « هيه .. أنت يا قربة الدهن .. أبقى حيث أنت ! لأن ثغنا في رأسك لن يزيدك جمالاً .. »

ثم هتف في تهذيب ساخر :

.. « فليؤزل السادة الركاب .. »

أطلق الوسيم سبة .. ثم فتح باب العربية ووثب منها .. ولم يفس أن يساعد المرأتين على التزول .. بعد هذا لؤلؤ الواعظ والتاجر الذي لم يلهم بعد ما يحدث هاهنا .. لابد أن كل هذا كابوس ..

وقفت (عبير) ترمق قباع الطرق هؤلاء ..

كان قادم ملتحفاً قذر الثياب .. يلوك هوداً من الفس وقد ثبت سلاحه على عنق الجواد .. سلاحاً عجيباً هو مزيج من الهندقية ذات الأربعة أقواس ، والمسدس ذي الساقية ..

أما زملاؤه الثلاثة فلم يكونوا أفضل حالاً .. تقبض الوحشية في جيوبهم الزرقاء .. ولحامهم مشعشة غير حليقة .. وكان أحدهم يحمل منلقاً صغير الحجم فوق السرج .. وقد أعد عود ثقاب لإشعال القليل لو اقتضاء الأمر ..

تزع القائد قبعة في تهذيب .. وقال :

.. « أرجو أن تسامحنى السيبتان على ما في مسلكي من لفاظة .. فكلنا نعاش - أنا ورفاقي - حاجة مزممة للحلى والذهب والساعات والدولارات .. واعتقد أن معاشنا الجميع مستتهي بمجرد أن نعرضوا جيوبكم ، وتعطونا هذا الصندوق من قولي العربية .. »

في منع صاح التاجر وقد احمر لخد كعرق بهك :

.. « لا !.. إن كل ثروتي في هذا الصندوق ! »

.. « إنها أتباء طيبة .. وبني لأكرز عرضي بحماس أكثر .. »

.. « أنت لن تجرو .. »

.. « أنا لن أجرو ؟ ما رأيك يا (بيني الغفر) ؟ »

انفجر (بيلي القنر) - وهو يستحق هذا الاسم حقاً -
 بضحك كاشفاً عن أسنان نخرة متسوسة ، ومن الغريب
 له (عبير) لأن يذبح السبجار الذي كان في فمه ثم تسقط
 برغم أنه قُتِح فاه بالثامن ، وعنه ضحك الاثنان الآخران
 حتى أدفعت عيونهما ..
 وهنا قال القائد :

« هلموا يا شباب .. ولقنه هذا الهراغ .. »

في حماس راح الركاب - بالطبع ما عدا (عبير) -
 يمزحون كل شيء ثمين يلبسونه أو في جيوبهم ..
 وكان أكثرهم حماسة هو القنر الوسيم (جيف) ..
 وترجل أحد اللصوص ، ليجمع كل شيء في منديل قنر ..
 ثم تسلق جانب العربات ليأخذ الصندوق ..

فما إن وضعه على سرج جواده وسط دموع التاجر
 حتى قال القائد في تهذيب مقتعل :

« والان يا سادة ، اغفروا لتاواقحتنا فنحن
 مضطرون لنقتلكم ! »

« لكفك ثلث ما تريد »

« إن (هاري السفاخ) لا يترك شهوداً .. »

وأشار إشارة ذات معنى إلى رجاله ، فصدرت فمعة
 من الأسلحة تعلن استعدادها . وحك حامل المدفع عود



وأشار إشارة ذات معنى إلى رجاله ، فصدرت فمعة
 من الأسلحة تعلن استعدادها

الثقاب في المرج فاشتعل .. ولم ينس أن يشعل سيجاره
منه .. ثم راح يرمي الركاب المذعورين في السكناج ..
« اتلوا صلواتكم الأخيرة .. »
هنا كان الفتى الوسيم قد بلغ نهاية حكمه في
أعصابه ..

وأدركت { عبير } أن قطرات الماء التي نزلت من رءوسه
لم تأت من المطر حتماً .. ورأته يصبح في مسيرها :
« يا .. يا سيد (هاري) .. نحن لم .. نحن لم ..
لا نقتلونا .. إن .. إن هذه الفتاة .. » وبغظافة جنب
(عبير) المذهولة من ذراعها ..
« .. هذه الفتاة هي السبب .. يمكننا أن نقتل ..
نقتلها فقط ! ..

في غمام تساهل القائد :
« السبب في ماذا ؟ »
« لا .. لا .. لا .. » ظننتكم تريدون ضحك ..
ضحية ما .. »

نظرت { عبير } إليه في استملاز .. الخليز ..
كلهم يتصرفون بنفس الكيفية .. يكونون عشاقاً لا يشق
لهم شبار .. وعند بانرة الخطر الأولى يضحون بالحبشية
عند أول لحظة .. وتذكرت مقطفاً من الشعر العامي

الساخر لشاعر مجهول يقول : (يموت حببي
ولا استهواش) لقد يبدو غريباً ومضحكاً .. لكنه حقيقي ..
قال القائد في صم ، وقد أثار هذا العرض الأخير
فتوته :

« هنا يا شباب .. اتنوها سريعاً .. »
وهنا صاح الواعظ رافعا يده :
« لحظة يا أخى .. أنت لن تقبل أن نقتلنا قبل أن
نصلي من أجل خلاص أرواحنا .. »
« ليكن أيها الأب .. ومن يرى ؟ لربما سألت الله
أن يغفر لنا حين تلقاه في العالم الآخر .. »

اتجه الواعظ في نزدة ليواجه الركاب ، وأخرج
الكنساب المعقدس .. ورسم بيده علامة الهزيمة على
ظهروه .. وقال بصوت هائل وهور :
« توبوا يا أبنائي .. فأنتم ستلقون خالقكم بعد
ثوان .. »

لا شيء سوى بكاء العائس .. واصطفاك أستاذ
الفتى .. وولولة التاجر على ماله .. ولهات { عبير }
المنفعل ..

« .. لهذا نذكروا أن التوب دعنا لأن .. »

وقد تألقت الشمس وراء ظهره .. ورأته يصوب مدفعه
تجاهها ويقول :

- « اثنان بطلقة واحدة ؟ إن إغراء هذا لنسيد .. ؟

وحين ضغط الزناد ..

كان آخر ما تمتفه (عجير) أن يكفى هذا لإعانتها
لعالمنا ..

وتعلمت أن يكون الموت هينا في (غانتازيا) ..

.....

* * *

وفي الثانية التالية ، لندتر (عجير) سوى رجلين
من اللصوص يصرخان ويسقطان من فوق صهواتي
جوانديهما .. وعندئذ عرفت أن الواعظ كان يكفى
مبدئيا في كتابه .. وأنه قد حفر الصفحات ؛ ليجعل
منها صندوقا يدور به فيه .

عرفت كذلك أن عليها أن تحتس وتتمرغ في
الرمال .. تسمع صوت للصراخ .. وصوت الطلقات ..
وحين رفعت عينها رأت الواعظ معرغا في الرمال
والدماء .. ورأت قائد اللصوص يطلق الرصاص
كوحش مسعور في كل اتجاه ، ومعها حامل المدفع الذي
أشعل عود ثقاب آخر .. لقد مات اثنان من اللصوص
إن ..

ورأت العالَمَ ترحف على ركبتيها ، والتاجر يحتمس
بالعربة . وشعرت أن هناك من يجذبها إليه بقوة ..
فنظرت للأوراء لتجد الوسيم يرقد وراءها متخذاً جسدها
كدرع .. !

- « يا لك من خنزير .. ! ألن تكف عن هذا ؟ ! »

ثم رأت حوافر الحصان تقترب .. وتقترب ..
رفعت رأسها ؛ لتتري منظورا من أسفل لزعيم
اللصوص فوق صهوة جواده .. كان يرمقها من عل

٥ - (ميل تاون) نفسها ..

كما يحدث دائماً لم تتطلق الرصاصات من السلاح المصنوب نحوها ، بل جاءت من وراء .. لتضطدم برأس قائد اللصوص .. ويتناثر الدم وشظايا المخ في كل صوب ..

والطلقة الثانية اصطدمت برأس حامل المنطع ، الذي توقف غنيمة وعود الثقب ما زال بين أنامله .. قال شيئاً ما عن النقص الذي يطارد .. ثم هوى كائنصخرة من فوق صهوة جواده ..

هتف التاجر مشيراً إلى الألق :

« انظروا ! »

إذ - في الألق - يقف نك الفارس راكباً جواده .. على رأسه قبعة ، وأطراف عباءته تتطاير في الهواء .. كان يحد حشو سلاحه الذي يتصاعد الدخان من فوهته ..

ثم جذب لجام جواده .. وتطلق مبتعداً .. غفلت العائن في حيرة وهي تلهض النهار عن ثوبها :

« لقد أتكفنا .. ولكن من هو ؟ .. هل الفارس المقتنع ؟ »

قال التاجر وهو يضع كله على عيبيه لينقى الشمس :
« كلا .. الفارس المقتنع لابد أن يصيح في حصانه ، قاتلاً : فلتنبعد يا (سكيلر) ! أما هذا فلم يقل شيئاً .. »

لكن (صير) كانت تعرف الإجابة ..
أخوان الدم ..

واحد منهم قتل الدب .. وقتل اللصين ..

واحد منهم يلعب دور ملاكها العارس .. فمن هو ؟ ولماذا ؟

* * *

(ميل تاون) أخيراً ..

برغم كونه وقت الغروب : يمكننا يا رفاق أن ننامن معان هذه المنيعة .. صبر واحد من عشرات المدن المماثلة في الغرب الأمريكي .. ذات الطرقات الترابية .. دائماً هناك قنديل وحالة وحائوتي ومكتب (الشريف) ومصرف وحداد لترتيب حنات الخيل ..

ثمة راعي يكر ويجلس في وضع غير مريح على

مربط الجياد أمام الحانة ، وقد أسدل قبعته على وجهه
وراح يعزف لحنًا ما على جيتار عتيق ..

ثمة مسئول ضئير .. وبعض عربات نجرها الخيول ..
وبعض للمتألمين ذوي التبعات العالية يمشون مع نساء
ذوات قبعات أكثر علوًا ..

ومن حين لآخر تخرج علفة وصاص من الحانة ، أو
بمصطدم أحدهم ببابها الدوار فينقلب إلى الخارج ،
ويسقط في حوض سقاء الخيل ..

الخلاصة أنها بلدة عائلية جدًا لا يميزها شيء ..

* * *

كثرت (عبيد) تفكر في هذا كله ..

حين راحت العربية تغتري شوارع المدينة الترابية ،
وكان الحوذي ثرثارًا بما يكفى لدرجة أنه لم ينتظر
توقف العربية ..

بل راح يولول جاكيا ما حدث للجميع ..

وعند مكتب (الشريف) توقف أخيرًا .. جذب أعنة
الجياد وراح يولول من جديد ..

وتجمع الرجال .. فتحوا باب العربية ؛ لينزلوا جثة
الواعظ الذي اخترمه الموت - بالمعنى الحرفي للكلمة -
ومددوها على الأرض ..

• •

ورأت (عبيد) الأمور يخرج من مكتبه في سودة ،
وقد سمى إيهاميه في نطاقه ، وراح يلوك لفافة تبغ بين
أسنانه ..

كان بيننا يوحى مظهره بالاسترخاء .. ، وقد ثبتت
نجمة الأمور الشهيرة بأسنانه على صدره .. وإن
نزع قبعته على سبيل احترام الموت ..

رتل الجثة بطرف حذاه .. وهنك :

- « هذا (وايلد بوى هيكوك) .. القتال المحترف
وأخطر رماة (فيرجينيا) .. إن عدد الوعظ المعزيين
في هذا الغرب يلقى عدد الخطاة الذين يعظونهم .. »

- ويصق طرف لفافة التبغ .. وأردف :

- لقد كان قطاع الطرق محظوظين حقًا .. فإلا أحد
يظهر مبدئيًا في حضرة (وايلد بوى) ويظل حيًا .. »
- « لكنهم ماتوا .. »

- « الموت بأى سبب ضرر (وايلد بوى) يكون
رحيمًا .. »

قال التاجر وهو يجلف المرق على جبينه ، وأسفل
حنقه :

- « ليس هذا كل شيء .. لقد هاجم (الايش) هذه
السيدة وقتلوا زوجها .. كان هذا قبل أن نركب معنا .. »

أغضض الأمور عنها وفتح عيناً .. وتأمل (صبير)
في اهتمام وهو يلوذ لثقافة التبغ .. حتى بدا لها كبرة
هجوؤ ثوعى ..

وعصم في لا مهالة :

- « (أباش) ؟ .. هووم ! .. غريب ! .. لا يوجد
(أباش) هنا »

صاحت (صبير) في حماس :

- « هل (أباش) .. لقد سلخوا وأس زوجي .. »
- « لابد أنهم (سيوكس) .. (الأباش) لا يسلخون
الرغوس يا سبتى ..

وعلى كل حال لا أظنك خبيرة بـ (موديلات) هؤلاء
الهنود .. إن الخلط بين أنواعهم لهين .. كلهم يقتفون
للشهام ويقتفون الأثر ويرقصون بالرماح حول النار .. »
شعرت (صبير) بالحنق .. إنها غلطة (نو الامال)
الذى حاول أن يسبك التمثيلية بسلخ رأسى الرجلين ..
لكنه أفسدها ..

والآن توجه ليصبح الاتهام نحو (السيوكس) ..

وجل يردى ثيابها زرقاء .. وعلى رأسه قبة وسم لولها
سيفان منقاطعان .. وجهه وزدان بلحية بيضاء
مهيبة .. كل ما فيه يوحي بأنه عسكري .. وأنه يقود .

لنا منهم .. فأكسح له الرجل مكاناً .. وقال أحدهم :
« إنه الجترال (سكوت) .. قد جاء من الحصن .
وقف الجترال يتأمل الموقف .. ثم خفف بصوت
مهيب مجلجل :

- « من كان موجوداً حين عجم الهنود ؟ »
- « هذه .. الميدة .. »

لنا منها .. وبعينين نافذتين تأملها .. وتساءل :
- « هل رأيت ما حدث يا سبتى ؟ »
- « لا .. نعم ... »

- « أئت وثقة من أنهم كانوا (سيوكس) ؟ »
- « أ .. أحسبهم كانوا . (أباش) .. »
- « لا يوجد (أباش) هنا .. إذن هم (سيوكس)
وقد قرأوا الهندة »

صاح أحد الرجال في مستيريا :

- « ويل لهم يا (جترال) .. إن الهنود الطيب هو
الذى مات ! »

ترأيت صيحات حماس الحموى .. فقال الأمور في حنى:
- « يا (جترال) .. إن مسئوليتك هي عن الهنود ..
أما أنا فأحقق في أمر اللصوص .. إن لكل منا مجال
نقصه .. لدعنا لا نلحد عمل بعضنا .. »

قال (الجنرال) وهو ينقل نظراته التافذة إليه :

« أنا لا أطيق المتنبيين كما تعلم .. »

« وأنا لا أتحمل العسكريين .. »

« إذن ستكون لى لقاءات عدة مع هذه السيدة .. »

ولسوف أجود حملة نأديبية للقصاص غذا .. »

والصرف (الجنرال) لى شيء من عصبية ..

فأشار المأمور لـ (عبير) إلى الفندق ، قائلا لها :

إنه مريح ولا بأس به .. وإنه سيهوى إليها فى الصباح

لمرى ما تملكه من معلومات عن الحادثين ..

« إن (هيل تاون) مدينة قفرة .. لكنها أنظف من

سواها .. »

وعلى باب الفندق حيثها العائس فى فتوو .. قهى

ذاهبة لتقيم لدى شقيقها .. وعرفت (عبير) أن

التاجر والثوسيم سيكوتان معها فى الفندق ..

إن مهمتها محددة .. ولكن كيف تبدأ ؟

هل نذهب إلى (الجنرال) لتسأله عن نواياه بهذه

البساطة ؟

إن عمل الجواسيس يبدو سهلا فى السيتما .. لكنه

معقد فى .. فى العلم إلى درجة لا توصف ...

* * *

قرعات على باب الحجرة

ذهبت لتفحه فى حذر حاملة الشمعة : لتجد الفئس

الوسيم واقفا وقد تزع فيهته ، وراح يهنس فى أنف ..

« مساء الخير يا مسز (ستون) .. »

« مساء الخير .. »

ابتلع ريقه .. وغمغم :

« كنت .. أتساءل عما إذا كان من الممكن أن

تقبلى دعوتى إلى .. أ .. لتقل سهرة فى المطعم .. »

« لا .. »

فألتها فى صرامة ، ودفعت الباب لتفقه ، لكنها

وجدت حذاءه محشورا فى فتحة الباب .. وعلى وجهه

اللزج الكحوح ارتسمت بسمعة مقبلة :

« لا نرين ما مبلونك .. »

« ليس عشاء مع الإسكندر المقدونى على كل

حال .. »

ثم فكرت .. لم لا ؟

إن هذا سيمنعها فرصة الاندماج مع القوم فى هذه

المتينة ، ولعروف تعرف من كلامهم الكثير ..

ولكن كيف تخرج بهذه الثياب ؟ .. ثياب المرأة التى

مطبخ (السيوتس) رأسها منذ عام ، ثم زادت بها أحداث
اليوم سوءا ..

وكأنما قرأ القتي ما يحول بذهنها .. فالتحتى على
الأرض والتقط عينا ورقيا به شيء ما .. وقدمه لها
وابتسم ..

نظرت داخل الكيس فوجدت ثوبا جديدا .. يبدو أنه ..
« .. من المنجر .. ابتعته لك الآن .. أعرفا أنك
فقدت حقيبتك إثر غارة الهنود .. »

« نعمي لن ... »

« أرجوك ... »

ثم تدر ما تقول .. فهي لا ترغب في قبول عداها من
هذا القتل .. وهي تنفر دوما من الرجال الشجعان وقت
السلام .. الجبناء إيان الخطر .. ثم قالت لنفسها : إن
الأمر كله حلم .. حتى المتجر ذاته هو من نسج
أحلامها .. فأى خير هناك من أن تفعل في الحلم شيئا
تأباه في الواقع ؟

تناولت الكيس شاكرة ، وبعث بفلق الباب في وجهه
حين سمعته يقول في لطف :

« لم يخلني سوى عشرين دولارا وعشرة سنتات ..
يمكنك أن تدفعيها لي فيما بعد ! »



فألتها في صرامة ، وحملت الباب لتخلقه ، لكنها
وجدت حذاء .. محشورا في فتحة الباب .

أغلقت الباب في غلق .. إن حذاره وخسته لاتفقدان
عقد حد .. لكن هذا أفضل .. أين معها دولارات
(نو التساميل) .. ولتعلم هذا الوعد - الوسيم - أنه لن
يستطيع شراءها بشيء دفعت ثمنه بالكامل ..

وحين فتحت الباب - في ذروة أنفثها الأثوية - كان
أول ما فعلته هو أن است التقد في جيبه ..

زاده هذا سعادة .. واتحى لطبع على أناملها قبله
لزوجته زاده شارب خشونة .. ذكرتها بملس أقدام
دودة الغر ذوات الممصات ..

كانت تربي هذه الديدان كقطس من طفوس الربيع ..

مشيا في الشوارع بضع خطوات ..

ثم رآته يفتح باب الحانة ويدخل معها ..

كان الجو غير والي للأسف ..

اندخان يعبق الجو كأنما توقفت هناك إلى يوم الدين ..
ونفسات نشاز تنصاعد من بيتاو عتيق يجلس إليه
هازل زنجي مضور ..

الرجال جالسون إلى موائدهم يلعبون الورق ويحتسون
التشرب ، ومجموعة من صباى الفسرام يلعبون
ال (برادى فير) .. لعبة الأكرع القوية ، وكان هناك
مكسيكيون يرتدون (الباتشو) - الحرمة المكسيكية

الشهيرة - و (السومبريرو) - القبة المكسيكية الأكثر
شهرة - يحتسون (التاكولا) - المشروب المكسيكى
ساحل الشهرة ..

نساء (عبير) في حيرة :

« كيف يجتمع مكسيكيون - وهم موجودون في
الجنوب - مع صباى فراه - وهم موجودون في
الشمال قرب (كندا) - في مكان واحد ؟ »

قال (جيبف) بلا مبالاة وهو يشق الزحام :

« هذه (قانتازيا) كما تعلمين .. وفي (قانتازيا)

يوسع علم الجغرافيا مكانا للخيال .. »

« كما أوسع علم الفلك مكانا في (جالكتينا) ..

والسج علم الفيزياء مكانا في (٠٠٧) .. »

« تماما .. »

ضحكة خليعة من إحدى فتيات الحانة ، ولكمة في فم
أحدهم .. ورصاصة تنطلق من مكان ما إلى مكان ما ..

جلس (جيبف) مع (عبير) إلى مائدة .. وفادى

الصاقي وهو يبتسم لها محاولا أن يفتتها ..

وهنا شعرت (عبير) أن الظلام قد حل ..

رفعت رأسها ، لتجد عملاقا يشبه الجبل حجما
وموضوئا ..

٦ .. الفارس الوحيد ..

كانت (عبير) تعرف جيداً مشاهير العائلات هؤلاء .. لكنها لم تجد فكرة للهروب من هذا الوحش .. فلو نهضت لجنبتها إليه .. ولو صرخت فأن يعا بها أحد .. ماذا تفعل ؟

ومر أحد رواد الحانة جوار المائدة فصاح في مرج :
- « هاى !.. يبدو أن (أجلى جو) قد وجد صديقاً »
« لخرس ! »

فألها بنبرة حاسمة صميئة .. وعاد يتسكك (عبير) .
يا له من عاتق ... !

الفتح يلبس الحانة الدوكر .. ورأت (عبير) راعى يقر يدخل منه .. كان يضع خرجاً على ظهره .. ولهايه في أسوأ حال ..

لم تر وجهه لأن القبعة تعيل ، لتقطى أكثره .. لكنها رأت أنه يعمل مسعفين في نطاقه ، وكانت موضوعين بحيث يشير مقبضهما إلى الأمام لا الخلف ..

وأنته ومشي بنزلة نحو اليار ..

عملاقاً أشعث ناسى النخبة قد فتح أزرار قميصه ،
حشى البطن . كاشفاً عن صدر مشعر كغوريلا ..
وكان هناك جرح قديم في خده .. وخنجر عملاق يتلوى من نطاقه .

كان يقول شيئاً ما :

« هيه يا أصلب ! نحن لا نخضع إلا لآلهة هنا (٥) »
استشاط (جوب) غضباً ووقف .. كان مستوى رأسه عند بطن العملاق بالضغط (هذا لأن العملاق كان متحنيًا) .
وصاح في حقن :

« إبنى أطالبك أن تكون أكثر أدباً يا ... »

« نطالب من ! »

والهالت لعمنان على وجه الوسيم فلم يعد كذلك ..
لكمة ثالثة أطارنه منزيت إلى الوراء .. ثم لكمة رابعة جعلته يخفى من الحانة (وربما من العالم) إلى الأبد .
وأمام عتس (عبير) المذعورتين ، رأت العملاق وجلس إلى المائدة .. وينحنى ليقول لها في حنان :
« هيا يا فتاة - لقد حان الوقت كي يكون لك رجل حقيقى .. »

(٥) أصلب آخر حبقاً بلغة العرب

يضع الخراج على المنضدة .. ويريح ساقيه - اللذين
دفعهما في حذاءين ذوي وقبة عالية الكعب - على مقعد
خشبي مرتفع ..

جاءه الساقى البدين ذو الثياب الكث .. فقال له
شبهاً ما دون أن ينظر إليه ..

سمعت الساقى يسأله في فضول :

« هل تفق جوادك يا راعي البقر ؟ »

هز الرجل رأسه أن نعم .. وتناول الكوب المكسو
بالرخاوى من الساقى .. وألغظه في فيه مرة واحدة ..

قال الساقى وهو يجلف بعض الأنخاب :

« إن الثغبار يمسبب الظلم .. ولا بد أنك اهتملت الكثير
منه .. »

ثم يرد راعي البقر .. ومذ يده يطلب المزيد ..

ثم ألقى قطعة عملة على المنضدة ..

عفا صرخت (عبير) لأن الوحش الذي يجلس

أمامها ضربها على يدها ، ليجذب انتباهها إلى دعاياته .

وأنت راعي البقر ينهض من مكانه في تودة ، القبة

تغطي أكثر وجهه لأنه ينظر لتقديمه طيلة الوقت ..

في بظه يسير نحو مانتها ..

يقف أمام العملاق الجالس .. ويقول بصوت متعك :

« دعها تنصرف ! »

* * *

تحوّل وجه (أجلى جو) إلى لون الطماطم .. ومذ

يده إلى الخنجر العملاق في خصره ، وهو يسبب يعنف :

« يا خيول المائة .. ستتم على لعبيك نور الرجل

القوى ! »

لكنه توقف ..

كان تصل المسدس البارود ينفجر في لحم عتقه ..

وأصدر الزئد صوت الـ (كليك) يوحى بأن المسدس

وحش يحاول التملص من سيطرة من يمسك به ..

متى أخرج راعي البقر المسدس ؟ لم يره أحد يفعل

ذلك .. كانت سرعته لا توصف ..

وبكلمات باردة قال لخصمه الذي فقد حماسه :

« أرى أننا بدأنا نفاهم .. والأذن اغرب عن

وجهي .. »

« متقدم يا راعي البقر ! »

« ربما .. ولكن ليس على طردى لك .. »

نهض العملاق متثاقلاً فلو أن النظرات تقتل تتحول

راعى البقر إلى غبار تذروه الريح .. ويبطء غدار
العملاق الذي ساءه الصمت ..

وحتى صوت الأنفاس لم يجد هناك ..

وللمرة الأولى ترى (صبير) ملامح راعي البقر ..
كان - مرة أخرى - هو (شريف) ذاته !.. وإن بدا
وجهه متعباً صارماً لم يتسهم قط على حياته .. لحيته
طويلة .. ولثغته متشققتان .. وأظفاره مستطيلة
سوداء .. لقد لوحث الشمس بشرته إلى حد الاحترق ..
واختلط الغبار بالعرق في تجاعيده وعلى شعر حاجبيه .
لكنه ظل هو ..

ثم يكلمها .. فلفظ أدار المسممين في الهواء بحرقة
بهلوانية قصيرة ، فعاد السلاح إلى قرابه ..
وعاد إلى البئر الواصل احتساء مشروبه ..
« مرحي ! »

نوى الصوت من مكان ما ..

ورأت (صبير) رجلاً منانفاً - إلى حد الاستنزاف -
يرتدي بذلة كاملة ، وسلاسل ذهبية ثقيلة تتكلى من
صدارها ؛ رأت هذا الرجل ينهض قاصداً راعي البقر ..
وفي مودة يريث على كنفه :

« أنت شجاع يا راعي البقر .. قتلون هم من
جرؤوا على تحدى (أجلى جو) .. »

لم يرد الرجل .. وواصل تأمله في صمت بليغ ..

« تعال إلى مائدتنا .. نحن نلعب (البوكر) .. هل
نرغبها ؟ »

لم يرد الرجل .. لكن صمته كان يملك الردود كلها ..
فتارة يصمت بمعنى (نعم) .. وتارة بمعنى (لا) ..
وتارة بمعنى (شكراً) ..

هذه المرة كان صمته يقول : نعم ..

وفي ذات التزهة تهض ماشياً وراء الرجل ..

فانه هذا إلى مائدة انتشرت عليها أوراق اللعب ،
وعليها يجلس ثلاثة رجال لا توحى نظراتهم بالراحة ..
فانوا يتأملون الغلام الجديد على انتقاد ..
لكنه جنب مقعداً وجلس ..

قال أحدهم وهو (يخلط) الأوراق :

« نحن نلعب رسمياتنا على المنضدة يا راعي
البقر .. »

أخرج الرجل ميسميه ووضعهما على المنضدة .. ثم
أمسك بمجموعة أوراقه وبدأ اللعب ..

لن أحدثكم هنا عن تفاصيل ما حدث ؛ لأننى لا أعرف
شيئاً عن لعبة (البوكر) .. و (صبير) كذلك لا تعرف .
لكننى أعرف أن الفتى راهن على ميسميه ، مقابل
واحد من جياذ هؤلاء السادة المربوطة خارج الحانة ..

سأله المتألق ذو البذانة :

- « هل تريد توزيع الورق ؟ »

- « نأب ! »

- « هل تريد مزيداً منه ؟ »

- « نأب ! »

إنه يستخدم الـ (نأب) بمعنى (نعم) والـ (نأب) بمعنى (لا) كحديثي وعادة البقر .. ومنذ أن استعمل (جاري كوبر) هاتين اللفظتين في أعلامه غداً معنا على الفرسان الوجدانيين أن يستعملوها .. جميعهم بدءاً بـ (بافلوبيل) وانتهاء بـ (لاسي فوك) .. دعونا نرى الآن ما تم في اللعبة ..

إن الفتي يخسر باستمرار .. ومجرى الحظ يمشي في صالح المتألق دون تردد ..

اهتماماً ثقة كريمة لثرفرق على ثمقي المتألق .. بينما يواصل الكسب واهتماماً غامضة بتلاعب على شطرنج الجالس جوار ..

راحت (عبير) تدور بهرهما في أرجاء الحانة .. ثم أزمعت أن تغادر المكان قبل أن تتعرض لمضايقة أخرى .. فتمكن - حتماً - لا يناسب الاتصاف الرقيقات منها ..

تهضت لتتصرف .. حين سمعت صوت راعي البقر يقول في اشمزاز ضاغظاً على حرومه :

- « هذا هو كل شيء .. إن الحظ يكون وانما إذا تسلح بفكيل من الفس ! »

ومن كم المتألق رأث (عبير) عدداً من أوراق اللعب تتساقط ..

كلها (آسات) ..

وفي اللحظة التالية رأث المتألق ويخرج من سوار قميصه ممسكاً دقيقاً جداً بحجم صغرة تحكيم المباريات ، ورائته يصوبه نحو رأس راعي البقر ..

إن معدلات المقامرين المعترفين هذه شديدة الفس .. ورغم كونها لا تحوى سوى رصاصة واحدة دائماً ..

- « أنت فكي يا راعي البقر .. لكه فضاء لا يتوغل العمر .. »

في اللحظة التالية ركن راعي البقر المذكور أعلاه المنعقدة .. فالتفت على الرجال الثلاثة .. ردوت طقة في الهواء ..

ثم وثب على الرجال الواقفين على الأرض .. وراح يوجه الكلمات بعينا ويساراً كما يحلو له ..

إن الركلات لا تستعمل في مشاجرات الغرب أبداً ،
ولكن طريقة القتال هي (اللكمات القوية في الفك) ..
وأخيراً انتهى الحفل ، فنهض راعي البقر .. استرد
ممنسبه وأعادهما إلى حزامه بعركة بهلوانية سريعة ..
ولصق من وضع قبته ..

هنا وصل المأمور (ربما هو الله (شريف) ، لأننا
لا أعرف فارغاً بينهما في الواقع) ..
جاء بهز ترشه اليمين ، ولقافة الذئب بين أستانه
كالعادة ..

وينظرة خبيثة قيم الموقف .. ثم سأل :

« من أنت يا راعي البقر ؟ »

رفع راعي البقر المنثور قبته لأعلى قليلاً .. وحسب :

« يسمونني اللجول ! »

بهتت (عويد) .. قى كل مرة ترى لها (شريف)

يكون اسمه (اللجول) .. ويكون مشغلاً متمرداً على

كل شيء ..

إن في هذا تكراراً لا يخلو من إصلا ..

قال المأمور وهو يوصق طرف اللقافة :

« أرى أنك أحدثت قدراً لا بأس به من الشغب .

هل جئت إلى هذه المدينة لتبقي ؟ »



في اللحظة التالية وكل راعي البقر المذكور أصلا
الشددا .. فأنفلت على الرجال الثلاثة ..

« أنظن ذلك ... »

« إن دعوى أسارك بأتني لأحب من هم على
شكلك في مدينتي .. »

دعوى أسمع عن حادث آخر .. ولنجدن نفسك مطرودا
من البلدة مكسوبا بالريش والقطران ١

« باب ١ »

أبركت (عبير) أن العاسور متراخ .. يقبل ضرور
بلدته كما هي ولا يطيق أن يجيء من الخارج من يحفر
سفر هذا الصفاء ..

إبه يقبل الصفاء ما دام فسادا صامتا ..

ولا يطيق من يرغمه على اتخاذ رد فعل ما ..

نهضت لتتصرف لكن (الجوزل) ناداها ..

« يا أئمة ! »

استدارت نحوه « غير فاهمة .. فدنا منها .. وقال في
عجوه :

« أنا خارج .. دعيني أوصلك إلى حيث نطقتين »

« أ »

وخرجت معه من العتبة على حين عادت نغمات
المعزف تنرد .. وضجعات الغنيات .. وفلوات
الرماس ..

وفي الخارج كل الظلام دامسا ..

سألته وهي تمشي جواره ملاحدة خطراته :

« هل تنوي البقاء هنا طويلا ١ »

« باب ١ »

« هل أئمة هارب من العدالة ٢ »

« ناب ١ »

« ألا تقول شيئا سوى (باب) و (ناب) ؟ »

« ناب ١ »

إبه لا يحب الثروة - فكرت (عبير) - وإن كان
لا يجيد قواعد اللغة .. المقروض أن تكون عنده لفظة
مماثلة لـ (بلى) يرد بها على السؤال العنفي بدلا من
(ناب) بمعنى (لا) ..

كانت الآن عند باب الفندق .. بالطبع لن ندعوه إلى
الدخول ..

ابتسمت له في حرج .. وهنا لاحظت أنه يحرق في
عقلها بإصرار واهتمام شديدين .. أتراه يفكر في خنقها
لن يدهشها ذلك ..

بعد ثانية أركت أنه يرمق القلادة التي تليها ..

قال لها وهو يرفع قميصه عن عينيه :

« قلادة جميلة .. »

« ش .. شكرًا »

« لا يملكها سوى ابن زعيم (السوكس) ! »

« ! »

« ولو كنت مكانك لحببتها بعيدًا عن العيون ! »

.....

* * *

٧- الخروج من (هيل تاون) ..

كالت الموضوعاء تصمُّ الأذن تحت لافذتها بالتفسيق في
هذه الساعة المبكرة من الصباح ..

تهبط لتروى ما هناك ، فوجدت حركة غير عادية
في الشارع .. ورائت حشدًا أكثر من اللازم فلون الأزرق ،
كان هناك عجوز رث الثياب معبداً على الأرض ،
وغير الموقفة لرجل يقف إلى جواره :

« إيهم (هك ؟) جنود الحامية (هك !) لاهيون
لتدمير معسكر الـ (هك !) سيوكس ؟ »
« حسناً يفعلون ! »

تراجعت (عبير) إلى الداخل ..
يألفها من مصيبة اللد جلّيت الوبال على (السوكس)
الذين هم قومها ، وأمهات بينهم .. ماذا تفعل وماذا
تفعل ؟ لا بد من مخرج ما ..

هرعت إلى المرأة فاركت الشعر المستعار ، وأخذت
طلاء بشرتها بالدهان الشاحب إياه .. ثم ارتدت ثيابها ..
وراحت تجول في الحجرة ومولًا ويسارًا .. حتمًا لا بد من
إبلاغ قومها .. ولكن كيف تفعل ذلك ؟ كيف تصل إليهم ؟

لا مقر من أن تسرق حصصاً وتقابر البدة الآن حالاً .

نزلت في الدرج ببطء .. وهنا سمعت من يناديها :

« ميدة (ستون) ! .. ماذا تعنين ؟ .. »

أجفنت ونظرت للسوراء .. فوجدت الفتى الوسيم

(جوف) واقفاً بجنباب النوم جوار باب غرفته . وقد بدا

عليه عدم الفهم ..

يأله من وعد .. المفترض أن يعزل الوجود تماماً

بعد العار اللذو حن به ليلة أمس ..

قالت له في حلق :

« شعرت بحاجة لاستنشاق الهواء .. »

« في هذه الساعة ؟ »

« هي ولقي لا ريتك .. »

وواصلت الهبوط في الدرج ، حتى غادرت الفتى ..

وابتعدت بضع خطوات .. حيث كان الجواد الذي تريده

واقفاً قرب الباب يحب الماء عينا من حوض السماء ..

ولم يكن امتطأه عسيراً على من هي ذات أصل

هندي .. صوت الحواقر يمزق هدوء الفجر .. ولا أحد

جوار الفتى ليرى ما يحدث .. لأن الزحام كله كان

ناحية المصرف الآن ..

ولكن .. في أي اتجاه تمضي ؟

المفترض أن الهنود يجهدون هذه الأمور .. وإنهم

ليشعرون الأكثر شغاً .. لكنها ليست هندية تماماً .. أي —

لمزيد من الدقة — هندية مظهراً مصرية عقلاً ووجداناً .

السحراء القاعسة من أثر النوم تتمطى في كسل

أمامها ..

والجواد ينهث ..

صوت الحواقر الرتيب يدوي دون انقطاع ..

والنعاس يتسلل إلى عينيها .. لكنها تقاوم ..

من نومه صعد الجواد ..

كانت عظامه كلها تؤلمه ، لأنه لم يمتد النوم على

الأسرة قط .. إن هذه الاختراعات اللعينة تتبع تحت

جسده ، ولا تلقى عظامك بتك اليد الصارمة الحاتية

التي تلقاك بها الأرض .. لهذا — يمكننا فهم هذا — كان

جسده كتلة من الزخم المتحرك .. لكنه كان بحاجة

للنهوض ..

لماذا ؟ .. لأنه سمع صوت الحواقر الراتضة ، رأى

راعي بقر يعرف معنى سماع حواقر في الفجر ..

إنها الفتاة حدثاً ..

كيف عرف ؟ لا أبرأ بالضبط .. لكن هذا النوع
من رعاية البقر يعرف هذه الأمور بسهولة ..

تبعض إلى المرأة .. وأخرج الموصي : ليوخلق ذكته
بالطريقة الجافة كما اعتاد .. وهي عملية غير مشفرة
لأن ذكته تظل طويلة بما كانت ..

ثم يرتدى قميصه .. وبالنظير كل رعاية البقر
الوحيدون ينمون بالسروال والهداء .. والمسدسات هي
نطاقهما المعلق عند رأس الفرائش ..

ثم إنه يشب من النافذة بحركة رشقة نفض به فوق
ظهر جواده تصف التاتم .. إنها ..

طش ش ش ش لا يوجد جواد .. فقط مياه
المساء .. هناك من سرق الجواد وسوف يدفع الثمن ..
وسكدر يمر متراخا يقربه يقول له :

- « (هك ا) يا راعي البقر (هك ا) إن هذا ليس
حوض استخدام ا »

فيخرج من الحوض محتفا .. لو كانت هذه قصة
مصورة لرسم الرسام صحابة من الثخان الأسود تبجوج
من رأسه .. لكن الجوال اكتفى بأن يشعل الدافئة تبغ
ياوكها نحت ضروسه .. ويومجر ..

إن الفتاة قد فزت ..

ويؤكد فزت وكتبة حصته .

يا له من حصان خائن ! .. صحيح أنه صار صاحبه
منذ ست ساعات فقط بعد ما ربح لعبة (البوكر)
لاتصاحب خصمه .. لكن هذا لا يعني أن يلزم مع أول
لصة حسناء تمتطيه .

إن الخيول لم تعد كعهده بها ..

* * *

في هذه الأثناء تمر لحظات سوداء بد (عجير) ..
فالحصان لا يطعمها بتاتا .. بل هو مصير على السير
بظرفيته الخاصة في معمار محدد له مسبقا .. كأنما ينفذ
برنامجا متفقا عليه من قبل ..

الحصان الذي يلحرف يمينا .. ثم يسارا .. ثم يمينا ..
ويجبر جدولين .. وينور حول جهل .. هذا الحصان
يعرف ما يفعله بالتأكد ولا يرفض اعتباطا ..

شرعت تنبئه وتلغظه لكن اللصين ظل محبرا ..
أخيرا ترى (عجير) مجموعة من الكهوف .. وتري
الحصان يتمهل في ركضه .. ثم يعطى بتؤدة اخلا
أحدها ..

كان الظلام دامسا بالداخل .. لكن الوغد يعرف إلى
أين هو ذاهب ..

ثمة تيار هواء بارد أت من مكان ما .. واقشعرت إذ شعرت به يلمس وجهها ..

خُيِّلَ لَهَا أنها ترو ضوءاً خافتاً يذو من شرف المكان من وراء الصخور فكلمت صرخة ، وجذبت لجام الجواد لتوقفه عن التقدم .. في اللحظة التالية رأت شيئاً يحمل كشفاً في يده وقاساً يذو منها ويتأملها ذاهلاً .. ومن وراء كتفه وأت عجوزاً أشيب وعصلاً أشقر .. كلهم يتأملونها ذاهلين :

« من أنت ؟ »

« ربما كان على أن أسأل ذات السؤال »

« نحن أبطال (جول فيرن) نقوم برحلة إلى مركز الأرض .. ومن المفترض أن تكون هذه الكهوف خالية »
« وأنا (عيبر) أقوم بمغامرة من مقامرات الغرب »
صاح العجوز في نفاذ صبر :

« هيا بنا (أكسل) .. دعك من هذه المتطفلة وتواصل رحلتنا ! »

قال (أكسل) :

« إن إدارة (لانتازيا) غير دقيقة في مواعيدها .. كان المفترض أن يردبوا لها وقتاً آخر لمغامرتها هذه .. هيا بنا يا (هانز) »

وأمام عينيها الذاهلين اختفوا في الظلام ..
من جديد عاد الظلام يسود المكان .. وعاد الجواد يتقدم بهبطاً عبر الممرات الوعرة .. في النهاية توقف في جيب كهفي صغير ..

وعلى الجدار تبينت (عيبر) وجود مشعل .. وجواره عدد من أعواد الثقاب فتاولت عوداً وحكته في المرحج - كما فراههم يفعلون - ثم أشعلت المشعل .. وراحت تستكشف المكان على الضوء الذهبي المفرقص ..

وظاوبت .. تباً لهذه الكائنات المريعة المشفومة تتدلى من جدار الكهف العلوي .. وعيونها العمياء تندق في القادم الجديد ..

ثمة خيط ماء يتسرب من مكان ما فوق رأسها .. ثم .. الحصان يتوقف كأنما انتهى الحد المسموح به له كي يتقدم .. تنزل (عيبر) من فوقه ويرافق ترتب على متخذه وتواصل السير لتري ما وراء هذه الفجوة الصخرية ..

ويتجعد الدم في عروقها ...
إنها قاعة .. كأنها قاعة اجتماعات تتوسطها مائدة عائلة الحجم عليها (شمعدانات) عسلاقة .. وحولها مقاعد ..

الثنا عشر مقعداً على وجه التحديد ...
أى مكان هذا ؟ ..

ونجاة سمعت صوت أقدام .. قهرعت تتوارى فى
السمعة خارج الكهف نحاول أن نرى ولا نرى .. وبهد
مرنجة ربت على منقر الحصان تتوصل إليه أن يلزم
الصمت .. وأطلت المشعل ..

الضوء يتزايد فى القاعة مما يشى بأن الشمعدانات
تشعل .. ثم ترى أشباحاً تتحرك بالداخل ..

وبصوبة كتبت صرخة تريد أن تغار عنقها .. إنها
أشباح حليقة لا مجازية .. كل منها يضع عبادة
سوداء على كتفيه .. ويحجب وجهه بنشام أسود ..
وعلى رأسه قبعة سوداء ..

ورأت عددهم يتزايد حتى بلغ أحد عشر شعباً .. اتخذ
كل منهم مقعداً على المائدة فى حين جلس واحد فى
الصدارة ، ليوحى بالزعامة .. وقال بصوت رخم عميق :

- « أين (هيل تاون) ؟ »

تهادى الرجال اللطقات .. ثم عادوا للصمت ..

- « ألم تصله رسالتى ؟ »

- « بلى .. لقد وصلت إلى (أوكسلاهوما) وإلى

(شيكاغو) .. المقترض أنها وصلت .. »



إنها قاعة .. كأنها قاعة اجتماعات لتوسطها مائدة دائمة
الخروج عليها (شمعدانات) معلقة .. وحولها مقاعد ..

فألقها أحدهم ، وعاد إلى الصمت ..

« إذن سنبدأ الاجتماع دون انتظار .. لكن على أن

أعرف شخصياتكم أولاً .. »

ثم نظر نجاه أولهم وسأله :

« كم ريشة فى جسد السنونو ؟ »

« ثلاثمائة .. »

نظر لثلاثى منمالاتا :

« كم شجرة فى لحية العم (سام) ؟ »

« ألف .. »

وعكفا .. وأدركت (عبير) أن هذه الإجابات يحفظها

كل من الرجال على انفراد فى نهاية الاجتماع ليجيب

عنها فى الاجتماع التالى ، وهى طريقة لا بأس بها

تتأكد من أنه نفس الرجل الذى حضر الاجتماعين دون

كشف وجهه ..

ومن السببى أن الأسئلة تتغير فى كل مرة ..

بعد هذا نصف الزعيم :

« ماذا تبتغون ؟ »

« أئدم ! »

« وماذا جاء بك ؟ »

« أئدم ! »

« كم تدفعون لأجله ؟ »

« أرواحنا ! »

إلى آخر هذا الديالوج الممل الذى يذكره من فرجهوا

الفصل الثانى ..

وأدركت (عبير) أن هذا هو مثنقى « إخوان الدم »

الذين اصطدمت بهم عدة مرات .. وراحت تستفتح

العلاقات التالية :

الحصان قادما لهذا .. إذن هو حصان عضو (هيل

تاون) .. الحصان يخص الجوال ، لكنه لم يكن كذلك

ليلة أمس .. كان يخص المقامر المحترف المتأقلم

إذن هو (هيل تاون) ذاته ..

وإذن المقامر مجرد شخصية وهمية ينهبها .. أما

الحقيقة فهي أنه — مثل (زورو) — يتحول ليلا إلى

عضو فى هذه الجمعية السرية ..

جمعية (إخوان الدم) ..

أما لماذا تخلى عن حصانه بسهولة برغم كونه

الحصان يعرف أكثر مما يجب ، فلأن حالته بعد مشادة

الحالة لم تعد تسمح له بالمقاومة ..

إذن لا خوف هناك .. لقد أتقنا « إخوان الدم » من

الموت مرارا .. إنهم أخبار برغم مظهرهم المرعب ،

وغموضهم المخيف ..

ولها في ذي تسمع هذه المحادثة :

« ما هي إنجازات الأميرج يا صادة ؟ »

قال أحدهم في حماس :

« لقد أحرقت ثلاثة زنوج أحياء ! »

« مرحى ! .. فلتحية ! »

واح الرجال يقرعون المائدة بكعوب مسنساتهم في

تناغم إيقاعي لا بأس به لهذا .. كلاك .. كلاك ! ..

ثم سأل للزعيم شقيهم عن إنجازاته :

« لقد سلخت فروة رأس امرأة هندية »

« مرحى ! .. كلاك .. كلاك ! »

ثم أشار إلى آخر :

« وأنت يا (تكساس) ؟ »

« لقد أرغشت وجلأ صبيتها على غسل حصاتي

بلساته ! »

كلاك .. كلاك ! ..

« وأنت يا (أوكايو) ؟ »

« حركت صيون أسرة زوجية إلى بحرات تمس ولصت

بها ! »

هنا كان شعر (صوبر) قد تصلب على جنوره ، كما

يحدث في أعلام الرسوم المتحركة ، وراحت أسنانها

نصطك ..

من هؤلاء ؟ إنهم أشر وأعط سقاحين عرفتهم في

حياتها ..

إن كيف أنقذوها ؟ ولماذا ؟ وما هو هدفهم من هذه

الجمعية المريبة ؟

أسئلة كثيرة احتشدت في ذهنها ، ولم تجد لها إجابة .

ومن المؤكد أنها لن تجد ، لأن الحصان مط عنقه -

حيث ولف جوارها في الظلام - وأطلق صهيلًا

طويلاً .. !

..... !

* * *

٨ - من أنت ؟

(وقال زعيم المصوص لرجاله) :

« من الذى عظمى يا رجال ؟ »

« ليس أنا .. »

« ولا أنا .. »

« إذن .. هناك غريب بيننا ! »

* * *

حاولتُ جاهدة أن تخرس الحصان .. وأتاه صوت

الزعيم من داخل قاعة الاجتماعات السوداء هذه يقول :

« أسمعتم ؟ »

« سمعنا ! »

« هلموا .. أهبضوا عليه وأحضروه حيا والأفضل

ميتا ! »

« سمعنا وأطعنا ! »

واتطلق الرجال نحو مصير الصوت ..

وحاولت (عبيد) أن تتسلق ظهر الحصان ، لكن

الارنيك جعلها تنسى ما ينبغي عمله بالضبط ..

تركت الحصان وراحت تركض ..

ترفض عالمة أنها لن تصل لشيء .. عالمة أنها

ستعثر فى الظلام حتما .. عالمة أنهم حتما واجدوها ..

يا للكثرة ! .. يجب أن ...

كان ذلك حين شعرت باليد اتقوية الحازمة تمدد فيها .

وشمت تلك الرائحة المميزة : رائحة العرق المختلط

بالتبخ وحساء الفاصوليا والبازلاء ..

إنها رائحة الجوال .. نعم .. هو كذلك ! .. الآن ترى

وجهه فى الضوء الخافت وترى البسمة القامضة على

شفتيه ..

ويصوت كالهمس وإن كان أكثر انخفاضاً يقول لها :

« صمنا ! .. ودعيني أخرجك من هنا ! »

لم لا ؟ .. وهكذا تترك له يدها كمن يقودها عبر

معرات مظلمة لا أول لها ولا آخر ..

وطاويط عديدة حلقت فوق السراوس .. وصفرور

كثيرة تعثرت لمبها الأقدام .. لكنها - فى النهاية - ترى

النور .. وتعرف أنهما غادوا حزام الكهوف هذا إلى

العراء ..

هناك ينتظرهما حصان أبيض رشيق يتطاير الشعر

من معرفته .. وتلتمع عضلاته الجميلة المبللة بالعرق

فى ضوء الشمس ..

ساعدها الجوال على الركوب .. وثوب ليركب خلفها
 وأمسك بالنجار .. وانطلق بالحصان لا يلقى على شيء ..
 دوت خلفنا وصاس أو ثلاث ..
 لكنهما كانت تعرف أنهما ابتعدا مسافة كافية ..
 سألته على صوت الحوافر المتزايد :
 « كيف عرفت مكاني ؟ »
 قال وهو يلوذ للفاقة تبغ { لا تعرف من أين جاء بها
 ويدها مستعان بالنجار } :
 « إنها قصة طويلة .. »
 وصار يلوذ للفاقة .. كان يشير دغشها دوماً أن
 رعاة البقر يتعاملون مع المسجائر باعتبارها أشياء
 تضيع ولا تدفن ..
 « إذن احكي لي .. »
 « حين نلحق في مأمّن صاحكي لك كل شيء .. »
 « والحصان ؟ »
 « سرفته .. إن الحصان في القرب شبهه بجريدة
 في قطار .. يقرؤها الجميع على التوالي .. والنتيجة
 هي أن أحداً لا يشعر لحظة بحرمانه منها .. وبالتأكيد
 صاحب هذا الحصان الممروق يبحث الآن عن حصان
 آخر يسرقه .. »

« يا لها من مثل ! »
 « إنها عدالة توزيع من نوع خاص .. »

* * *

كان النمل قد حل .. وأخيراً يعود الجوال إلى جنوره .
 ينزع قميصه .. ويضله في الجدول ، ثم يطلقه فوق
 حصن شجرة ، ويفرغ غطاءه ويمس نوم على الكلأ ..
 ثم به يتشمع الجو بعض الوقت .. ويشعل ناراً في
 مجموعة من جذوع الأشجار .. ويضع ثلاثة أحجار
 كبيرة - اثنا عشر كما يقول الأعراب - يضيغ فوقها إهنا
 صغيراً ..
 يفتح عتبة طعام محفوظة بخنجر .. ويفرغ ما فيها في
 الإناء ..
 وبعد ثوانٍ تتصاعد رائحة الطعام ..
 يضع يده في (ونشستر) ذات مقبض مزخرف في
 متناول (حير) .. ثم يصب الطعام في علبتين من
 الصفيح يقدم لها واحدة وله واحدة ..
 « ما هذا ؟ »
 سألته وهي تتشمع علبتها في إشمزاز .. فقال :
 « بئزلاء .. »

كلاهما تتلجر حنفا .. الرجوة الشاحبة لا يأكلون إلا
البازلاء .. والهنود لا يأكلون إلا الكندي .. أية حياة
هذه ؟ ولى أية ظرووف يعثنها أن نأكل صحناً من
الملوخية إذن ؟

وكانما سمع أفكارها ، قال فى ضيق :

« البروتوكول يحتم هذا النوع من الطعام .. »

ثم بدأ يعد القهوة فى وعاء صدئ آخر .

سألته (عيبر) وهى تتأمل تراقص اللهب :

« كيف عثرت على ؟ »

قال دون أن ينظر إليها :

« الأمر هو نقش معين على حوافر الحصان .. »

حصان الذى سرقته صباح اليوم .. هذا النقش يعنى أن

صاحب الحصان هو من إخوان الدم .. إذن من المؤكد

أن الحصان قد جاء بك هاهنا .. »

« وكيف عرفت مثل اجتماعهم ؟ »

« هذا عين .. »

ورفع وعاء القهوة من فوق النار .. وأردف :

« لأننى واحد من إخوان الدم .. ! »

* * *

مسقط غلبة الطعام من سد (عيبر) ، وبحركة
لا إرادية شعرت بعدها تتسلسل لتقبض على الـ (ونشستر) .

« أنت ؟ إذن كنت تكد على كى ... ؟ »

أخرج من داخل خرجه قديص معدنيين يشبهان أقذاح
البيرة .. وحسب القهوة فيهما .. وقال بلا ميلالة :

« ليس الأمر كما تظنين .. كنت واحداً من إخوان

الدم .. هل تعرفين (الكوكلوكس كلان) ؟ .. تلك

الجمعية المرمية العنصرية التى تدعو لإبادة الملونين

جميعاً ؟ إخوان الدم يدعون إلى الشىء ذاته .. ويقتلون

الصفر والسود والحمرة دون تمييز ... ويؤمنون بأن هذا

هو السبيل الوحيد : ليسود العدل التكون .. »

ونقر على صدره قى فخر :

« كنت أنا العضو (أواهيو) بين أفراد الجمعية .. »

وأتمت بأعمال مجيدة حقاً .. إلى أن وجدت ذات يوم

بين أفراد البيرة (الميوكس) .. ورحلت أرافقك من

بيد .. شعرت بأننى لمت شريفاً إلى هذا الحد ..

والهنود لبسوا سبتين إلى هذه الدرجة .. لفأاة رقيقة

لطيفة مثلك .. رحلت أثارلها يعنى ، وكان لى فضل

بقائك من الذهب ضد الجدول .. ثم إتقائك من قطاع

الطرق .. هل تذكرين ؟ »

وضحك في التصار :

« هاهنا .. نعم .. تتحرك لم يقدحني لحظة ..
عرفت أنهم يدبرون شيئاً وأنهم أرسلوك بالذات لترافقني
الموقف في (هيل تاون) .. قررت أن أخلع قناعي
وألعب دور القوارص الوحيد .. وأكفنتك مرة ثالثة في
الحانة .. لكك حاولت الفرار .. وأنا لا أعرف ممثلي
(هيل تاون) بين « أخوان الدم » ، لأننا لا نرو وجهه
بعضنا أبداً .. لكنني نأكدت - حين رأيت آثار الحوافر -
من أنه هو المقامر الذي كاد يقتلني في لعبة (الموتر) ..
وعرفت أنك الآن في تلك الاجتماعات ..

ولهذا لحقت بك لأتذكرك للمرة الرابعة .. »

ظلت ترمقه بشدة .. ثم سألته بعد دقائق :

« ول .. لماذا يفعلون ذلك ؟ لماذا يعذبون

السلوتين ؟ »

ناولها قوح قهوة يخرج البخار الساخن منه .. وقالت :

« إن هذه الهلاك قامت على أكتاف مجموعة من

المغامرين . وبدأ الحياة اليومية هنا هو (عش ودع

الأخرين يمرتون) .. إما أنا وإما هم .. إن هذه هي

أرض التهود .. ونحن نريدها منهم .. لهذا لا يوجد حتى

وسط .. نحن أروهم .. القالبية تؤمن بالخداخ كوسيلة

للحصول على الأرض .. أما بعض المتطرفين يؤمنون
بالدم .. إن إخوان الدم يهربون عن التمسك التامسي
الأمريكي بشكل أكثر صراحة وأكثر فجاجة .. لكنها
الحقيقة .. »

« وما هو مكنك الآن ؟ »

« أوه .. لقد تخلت عن موقعي ودوري حين أنقذت

حياة لقاة ملونة .. ولم أعد أطيع الأوامر التي تصفنا

بالتصام الزاجل .. لهذا أنا المرشح رقم واحد للقتل

الآن .. وأراهن على أن اجتماع اليوم كان مخصصاً لي ...

الآن يوجد ثلاثة ماريشالات للولايات المتحدة يبحثون

عني وأتينا عشر دقائق .. إن شعيتي تزداد حقاً .. »

وأخرج من جيبه (مارمونيك) صغيرة راح يصقر

عليها .. ثم - بصوت أجش خفيض - راح يقضي :

« لنا مطنوب حياً أو ميتاً .. »

لهذا سأرحل يا صغيرتي ..

ولكن من سيكن من أجلي ؟ من سيضمن علي

روحي ؟

« حين أتلي من جبل المشنقة ؟ » (*)

(*) أجنحة حليمة من أقصى غرب .

ثم ازداد صوته رخامة :

« أنا راعى بقرة ممكنين وحيد .. »

« وموطنى بعيد .. بعيد .. »

ثم بدا عليه الارتباك .. وعظم :

« معذرة .. هذا المقطع ليس من تأليفى .. إنه

خاص بالتزميل (لاسى لوك) .. وقد اختلط على

الأمر ! »

« لا عليك .. ولكن قرأ لى : هل ارتكبت مذابح

كثيرة ؟ »

« آلاف منها ! » - هتف فى حماس .. « .. لقد

سرت على خطى أبى العزيز .. وفى من الساعة من

عسرى رأيته يقتحم كوخ سياد فرا « أببضر وبفجر رأسه

بالرصاى ، لأنه تزوج هندية وأنجب منها ! »

تصلبت (عبير) .. وسألته :

« هل .. هل أتجيبنا بتنا ؟ »

« أظن هذا .. ثالث من نفس سننى ! »

« ونذكر اسم الهندية ؟ »

« أظن هذا أيضا .. لكن الصياد صااح حين رأى

أبى : (لقد نالوا منا يا بصفة الجاموس !) .. تصورى

هذا ! .. بصفة الجاموس ؟ ..

« إن لديكم - معشر الهند - أسماء لا تصدق ! .. »

فى اللحظة الثانية وجد نفسه يحدق فى قوامة

الهندية ..

وسمع (عبير) تقول فى غسوة :

« إن أباك هو قاتل أبى .. ومن الواضح أننا

سلتعالل الآن ! »

* * *

٦ - لا وقت للضعافين ..

- « أأنت خائفاً ؟ »

- « نأب ! »

- « ألاحظ أنك عنت لك (تآب) وال (باب) وعنت
قد نسيتهما فترة لا يأمن بها .. »

- « إنها طريقة لإظهار اللامبالاة .. نوع من لعب
بور (البارد) .. ولا حاجة بي لذلك مع طفلة مثلك .. »
- « هذه الطفلة ستفجر رأسك حتماً .. »

- « سيكون قراراً خاطئاً »

قلها وجرع جرعة كبيرة من القهوة :

- « إن حامية الجنرال (سكوت) متجهة الآن
لتأديب (السيوكس) .. وعليك أن تصلني هناك قبل
العامة لتتذري قومك .. من دون عومي لك يصير هذا
مستحيلاً .. »

وخلع قميصه وهدى غصلات شعره الجنى الذوى لم يعرف
المام منذ قرون !

- « ثم إنك لن تقتليني لأننى أروق لك ! .. »

- « مفرور ! »



فى الليلة التالية وجد نفسه يحدق فى صورة البندقيّة ..

« هذه هي الحقيقة .. فتمطى لا يقاوم .. النساء
يشتفن من ولدوا خامسين .. أولئك المشاعبين الذين
لا يمكن ترويضهم .. ، وأنا قد أنقذت حياتك مرارا ..
ولا أفكر أنك تقتلينني من أجل ما قارفه أبى .. وهكذا
ترين صعوبة الموقف ، فارس وسيم يعرف الطريق إلى
معمرك (السيوكس) أنفك من الموت أربع مرات ..
فهل يموت ؟ »

« نأب ! »

قالتها وهي تخفض لوحة البندقية في تردد ..
الواقع أنها لم تكن تتوى شيئا .. هو فهم هذا دون
جهد .. خاصة أنها لم تترك هذا الذي يقولون : إنه
أبوها قط .. فكيف تتنقم له ؟ كل ما هنالك أنها وجدت
من واجبها أن تنقل شيئا ما ..
قالت في سأم :

« - إبنى لا »

« ششش »

قاطعها وهويضع سبائته أمام شقنيه .. ورأت ممسياه
في يديه .. لا تدرى متى ولا كيف أخرجهما من نطاقه ،
وراح يرمى الأشجار المظلمة في تحفز ..
بعد ثمانية تمررت غصون الأشجار ، وبرز وجه

مغطى بالشعر الأبيض حتى إن (عجير) حسبته نثبا
عجوزا ..

ثم أركبت أنه جندى .. جندى نامس اللحية .. يرتدو
بفلة رمادية اللون وعلى رأسه (كاسكيت) .. وقد بدا
في حال مزرية ..

هتف الجندى وهو يرفع يديه :

« لا تطلق النار يا راعي البقر .. »

وتريع على الأرض .. وراح يزحف نحو التلار بهبطه ،
أعاد الجوال ممسياه إلى قراهما .. وسأل وهو
يعود للجلوس :

« منذ متى ؟ »

« ثلاثة .. »

« آخرون ؟ »

« ماتوا .. »

أخرج الجوال رغيفا من الخبز الجاف .. ونهض إلى
الجواد فتناول من سرجه زجاجة صغيرة .. ، قذفها
نحو الجندى ..

فراح هذا يلتهم الخبز ويجوع من الزجاجة ككلب
جائع ..

لم تفهم هي شيئاً .. لكنها أدركت أن الجوال يفهم كل شيء كعادة رعاة البقر الوجيهين .. لم يكن هناك كثير من الكلام لكنه لا داعي له .. إنها لغة قوم يفهم بعضهم البعض بوضوح ..
مالت عليه تسألته هائمة عما هناك .. فقال لها بلا مبالاة :

« الأمر واضح .. هذا جندي من جيش الجنوب فرّ من فرقته مع آخرين منذ ثلاثة أيام .. صات الآخرون على يد الجنود الاتحاليين ونجا هو .. »
« تعنى الحرب الأهلية الأمريكية بين الشمال والجنوب ؟ »

« طبخاً .. ليس التزامن دقيقاً .. لكنك قس (فانتقزياً) حيث وتواجد كل شيء في وقت واحد .. »
« وما هذه اللغة المختصرة ؟ »
« هي لغة أناس مسلموا الكلام .. »
كان الجندي قد قرغ من الأكل .. فتنفّس له الجوال نفاسة نبغ أشعلها هذا من النار .. وسأله الجوال :
« كيف ؟ »
« الدخان .. إن رائحته قوية .. »
« فمرسان ؟ »

« لا .. (شيين) .. أربعة أميال .. »
« إنن تطلن .. »

وتناول دلو الماء وسدبه على النار فساد الطلام إلا من والحة الدخان المحنضر .. كان الطلام دامساً ثم عانت (عبر) ترى النجوم تزداد وضوحاً وتأنقاً .. وعذلت تتبين قسمات الوجوه ..

قال الجندي وهو يهرش لحينه :
« نرحل فجراً .. هل أبدأ أنا الحرامية ؟ »
« نأب ! »
« إنن أنا بعدك .. »
« ياب ! »

وتصفد الجندي على الكلا وبعد ثوان تماثلي صوت طبلوطه ..

أشار الجوال إلى كيمس اتقدم لتدخل (عبر) فيه .
وأشعل نفالة تبغ .. وجلس ووضع الي (ونشمستر) على وكتبتيه ..

قالت له وهي نهضت شاعرة بالبرد :
« هل حقاً سننام وهو متيقظ ؟ أنا لا أثق به »
« أنا كذلك .. لهذا سأتركلي الحراسمة طيلة الليل ولن أوقفته ! »

« يمكننى أن أتبادل معك .. »

« نأب !... غذا يوم عصب .. »

« تصبح على خير .. »

« أوه بيه .. »

وأغمضت (عبير) عينها ..

شعور ممتع هو أن تغفل فى أحضان الطبيعة ، بينما يسهر هذا الفارس الأوسم القوى على حراستها .. لماذا لا تروى أمثال هذا الجوّال فى دنيا الواقع ؟ كل من نراه من رجال لهم كرش كبير .. ويعنون لديارهم منهكين غارقين فى العرق .. يحملون الجريدة باليد اليسرى والبطيخة باليد اليمنى ، وكل مفارقتهم فى الحياة هى ركوب الحافلة أو نيل علاوة ..

* * *

كان ذلك عندما تبين الخطب الأول من الفجر ..

وصعدت (عبير) من النوم شاعرة بأن هناك شيئاً ما على غير ما يُرام .. ، وحين فتحت عينها أكثر وأت

التالى :

١ - جندى الجنوب لم يعد رافداً .

٢ - الجوّال يقف رافداً يديه إلى أعلى .

٣ - لا توجد بندقيّة معه .

٤ - أربعة من (إخوان الدم) يتقنون شامورين مسبّلتهم فى وجه الجوّال .

فلتت رافدة ترقب الموقف ..

كان أحد الرجال المثممين يضحك .. ويتكلم بصوت مألوف تذكرت عبير أنها سمعته فى الكهف :

« والآن يا (أوهايو) ينتهى سرك الأيدى ! »

تراجع الجوّال خطوة للوراء .. وفى ضيق تصال :

« كيف وجدتمونا ؟ »

« تسمى نوماً أن حوالى خيولنا مميزة .. كان من السهل أن نجد آثار الحدود خارج الكهف ، وكانت نكود إلى هنا .. ثم شمعنا رائحة الدخان .. أتت الفارس الوحيد فى العالم الذى ينمى اتجاه الرياح حين يتناول عشاءه .. »

قال الجوّال وهو يشعل لفافة تبغ غير عابهن بإشارة توترهم :

« إذن فقله هذه اللحية سريفاً .. »

هتف أحدهم فى زميله :

« اتلى قرار الإعدام .. »

أخرج هذا الأخير قطعة من الورق .. وفتحها وراح يقرأ بصوت مسموع :

« به في ٨ مارس عام ١٧٦٨ تقرر إعدام العضو
(أوهايو) لحياته العظمى ، ومروجه من جمعية
(إخوان الدم) بعد ما أكمم قسم الدم .. وليكن في اسمه
حبرة لكل خال .. »

صاح الجوال مقاطعا :

« لحظة يا شباب .. كيف عرفتكم أنه أنا ؟ .. إن
أحدا لم ير وجهي سوى (الأخ الأكبر) .. »
« كلنا نعرف سمائك منه .. ونعرف علاقتك .. »
ثم ارتفعت المستندات نحو الجوال .. وأرشف الرجل :
« هلا تلوث صلاتك الأخيرة يا (أوهايو) ؟ »
في اللحظة التالية دوت أربع طفقات ارتج لها سكون
الغابة ..

وحلقت الطيور في الهواء محنقة إثر عاجها مبكرا ..
وعلى التلأ تكومت أربع جثث ملثمة والدم يفرز من
أجسادها ..

رفع الجوال رأسه مذهوشا ليرى ماذا حدث ..
رأى الجندى يبرز من وراء الأشجار حاملا مستسبه ..
مستسا في كل يد .. والدخان ينبعث من الفوهاتين ..

قتل الجندى وهو يكذف بالمستسبين نحو الجوال :
« هاك ! .. معذرة .. »

تسأل الجوال وهو بعيد المستسبين إلى نطاقه :
« لماذا .. »

« لم أرغب فحسب .. »

فما بدأت (عبيد) تفهم .. لايد أن تقوم غلب
الجوال ، وحاول الجندى سرقة المستسبين والحصان
والفرار .. لكنه سمع هذه المحادثة ولم يضاوعه قلبه
على ترك منقذه في موقف كهذا ..

إذا لفرغ مستسبه في صدر المعسكرين .. وعاد
ليصارع الجوال بأسفه لما حدث ..

قال الجندى وهو يجذب الحصان إلى مقربة :

« (الشمين) .. سمعوا حتما .. »

« إذن نرحل الآن .. »

« خيولهم ؟ »

وأشار إلى الهش الأربعة .. فهز الجوال رأسه موافقا ..
هذه المرة حصل كل منهم على حصان .. وتركوا
حصتين في الغابة عاليتين أن (الشمين) يسجدونهما
حالا ..

دوى صوت صراخ الهندود الهجومى .. فصاح
الجوال وهو يركل خاسرة حصاته :

« إنهم لا يضيعون وقتا .. فلتهرب ! »

واتطلق الفرسان الثلاثة يصفون طريقهم وسط
الأشجار .. بينما سهام الهندود تتطاير حولهم فى كل
صوب ..

* * *

١٠ - المضطربون ..

التهاور البكر يتلفس فى غسل فرق الرها ..
وثلاثة فرسان يقطعون السهول على ظهور خيولهم
قاصدين معسكر (الميوكس) ، بعدما غرّوا من
(الشيين) ..

ولاح المعسكر من بعيد .. ودوت صرخات الكشافه
تعلن للفرسان أن ثلاثة فرسان يبتزون من المعسكر ..
ورأت (عبير) عشرة خيول تنفو منهم يمتطيها
(ذو الدمامل) وآخرون معه .. كانوا منججين بالصلاح
متأهبين للقتل فى أية لحظة ..
فما إن رآها (ذو الدمامل) حتى رفع ذراعه الأيمن
بالرمح ليوقف الرجال المتحمسين عن يمينه .

صاحت (عبير) بصوت متهدج :

« (صخرة الماء) تحبب أختها (ذو الدمامل) »

قال بصوت مرتاب :

« أرى وجهين شاحبين إلى جوار (صخرة الماء) »

« فما هنيئان .. »

ثم أرتدت وهى تتنزع شعرها الأشقر المستعار :

- « إن الحامية قائمة لنهاجم (السيوكس) .. »
 - « يا لضربة (أرجاما) !.. فليقتل المقاتلون أمتهم
 إذن .. ولنقم بإبعاد النساء والأطفال .. »
 هنا رجع الجنرال يده طالباً الكلمة .. وتظر نحو الفتاة
 طالباً منها أن تعارفه في الترجمة :
 - « فليسمح لي المحارب بالكلام .. »
 فأنثت (عبري) بلغة (السيوكس) :
 - « آجو .. وا .. تشي .. سوها »
 - « إن ما يحدث هنا هو نتيجة لعبة قذرة يمارسها
 بعض البيض .. وهؤلاء البيض يهيمون دوماً أن تتشب
 الحروب بين الهندود والجنود .. »
 - « أما .. جي .. شكا »
 نظر الجنرال إلى (عبري) في حيرة .. وبثت سألها :
 - « هل هذه ترجمة كل ما قلت الآن ؟ »
 - « إن لغة (السيوكس) بلغة حقاً .. »
 ثم إن الجنرال أوقف بصوت عال :
 - « لا تقاتلوا البيض .. كل ما أرجوه هو أن تبتعدوا
 بمسكركم عدة أميال .. إن أي صدام مع الحامية
 ستكون نتاجه وبيلة »
 - « بونجا .. آيا .. شاء .. 1.. »

صاح (ذو الدمامل) في حق وهو يلوح برمحه في
 الهواء :
 - « (السيوكس) لا يخافون الوجود الشاحبة .. قتهم
 شجعان مثل الثعور الجريحة .. ولا يبالون بالموت .. »
 ترجمت (عبري) ما قاله في تعامه .. فرد الجنرال :
 - « أنا أعرف جرأة (السيوكس) .. لكن البيض
 يمكنون بنافق ومدافع .. والمدفع يساوي عشرة رجال
 برماهم .. »

الخلاصة أن هذه المناقشة طالت بعض الوقت ..
 وفي النهاية اتسع (ذو الدمامل) بأن يرسل مع
 عشيرته إلى والد بعيد .. على أن يترك (عبري)
 و (الجنرال) مهمة إقناع الوجود الشاحبة بالسلام ..
 ولم تجز (عبري) على إخباره بأن ما حدث كان
 نتيجة حقيقة لحماقته ، وأن الجنرال (سكوت) -
 الدوي - لم يذبح لحظة ، وحسب الاعتداء من طرف
 (السيوكس) ..
 والأمر ينطلق الجنرال ورفيقاه إلى الشرق باحثين عن
 حامية الجنرال ..

من بعيد تبدو أعلام الحامية وعرباتها ..

قال الهندى وهو يجذب لجام جواده :

« إلى هنا تنهى رحلتى يا راعى البقر .. أنا لن

أدع هؤلاء (البائسى) (*) كى يضعوا يدهم على .. »

.. « باب ! »

وتدخل الرجلان تحية ودودا ملبلة بالمحبة ..

تتلخص فى أن كلا منهما ضرب بقيضته كتف الآخر ..

ثم أدار الهندى جواده فى الاتجاه العكسى وراح ينهب

الأرض نهبا ..

قالت (عبير) :

« يا له من أرق مؤثر ! إنك لرجل مرفف

الحسن يا جوال .. »

قال وهو يلوك لفافة التبغ :

« لا حيلة لى فى رقة مشاعرو .. »

ثم جذب لجام الجواد وانطلق - وهى وراءه -

قاصدين مصعر الحامية ، ومن اللحظة الأولى أبركت

(عبير) أن شوقا ليس على ما يرام .. ليس من المعتاد

أن يحتشد الناس بهذه الطريقة حول شيء ما .. وليس

(*) فرسان قشمل ..

من المعتاد أن يكون هذا الشيء ممتدا بلا حراك .. وأن

يبرز سهم هندى ذو ريش من بين لوحى كتفيه ..

كان الموقف كالتالى : أحد الجنود قد لقي حتفه بسهم

هندي فى ظهره .. وكان ممتدا على الأرض فى غباء ،

على حين وقف الجنود حوله يتبادلون المسباب

والعبارات الغضبية ..

وكان الجنرال جثيا على ركبة واحدة جوار الجثة

يتفحص السهم بأنامله ، ويدخن السيجار مفكرا ..

وهنا رأى القوم (عبير) والجنرال .. لصاح صائح

منهم :

« إنها هندية .. هندية من (السيوكس) ! »

فى اللحظة التالية رأت (عبير) عشوات - لابل

مفات - البنادق تصوب نحوها .. وسمعت الصيحة

المعتادة :

« اقلوها يا شباب !.. إن الهندى الطيب هو الذى

مات ! »

هب الجنرال والمعا يده اليمتى صائحا :

« توقفوا يا آبنائى !.. يغنى القتل والدماء ! »

ثم هتف وهو يلوك مسجاره :

« انخروا قوتكم فذبح هؤلاء المتوحشين في
معسكرهم .. »

« إن الجنرال يمان هنا .. »

في هذه الأونة كان الجنرال قد ترجل ببدوره ، وراح
يتلخص للجلّة في لفصول .. ثم إنه أعاد تشبّهت القبة
على رأسه .. وقال للجنرال وهو يشير للسهم :

« هذا السهم لم يطلقه هندي يا جنرال .. بل أطلقه
رجل أبيض .. وجل يهجه أن يستلز الجيش .. »

« ماذا تعني يا بني .. »

« أعني أن المر الوتر غير ظاهر على مؤخرة
السهم .. لقد انطلق هذا من قنفة سهام وليس من قوس ..

وأراهن على إن « إخوان الدم » هم من قتل ذلك .. »
« إخوان ماذا .. »

« « إخوان الدم » .. تنظيم من البيض يسعى لإبادة
للهنود .. »

« يبدو لي تنظيمًا خيرًا ! »

« ربما .. لكن وعظمتك تحتم عليك التقاهر بالحياد ..
توجد معاهدة بينك وبين (السيوكس) عليك أن

تحترمها ما لم يثبت العكس .. »

« لقد ثبت العكس بالفعل ! »

« لم يثبت شيء .. سهم هندي مزيف .. وامرأة
حقاء تزعم أن (الشين) هاجموا عربتها .. ولقد
فرت هذه المرأة من فئتها صباح اليوم .. »

« حقًا فرت ؟ »

« ياب ! »

وقب الجنرال عاجزًا عن اتخاذ قرار صائب ..

في اللحظة التالية تعالى غبار الخيول في الأقبى ..
وهتف هاتف إن مجموعة من الفرسان البيض قادمة .. »

واستطاع الجنرال أن يرى ركب الفرسان .. كانوا
مجموعة من رجال (هيك تاون) يتكلمهم الشريف

ومساعدته ، والمقامر المحترف .. وبلطجي الحائز ..
وكان بعض الرجال مسلحين بالفلوس وبعضهم بالحبال .

وعلى مسافة أمتار توقفت الركب .. وتقدم الشريف
بضع خطوات إلى الأمام بجواده .. وهتف في الجنرال :

« جئنا يا جنرال لتعاونكم في تأديب هؤلاء
المتوحشين .. »

وقال آخر وهو يجنب لجام جواده :

« إن الجيش والقوات العنيفة مرغسون على
التكاثف .. فكلنا نصل من أجل (أمريكا) .. ولا نهم
اليد التي تهب أطفال (السيوكس) ظالمًا هي يد
أمريكية مبركة ! »

« مرحى ١ »

« بالرب نؤمن .. »

نقدم الجوال بضع خطوات من جواد الشريف ..
وتأمل الأرض .. ثم رفع عينيه ثقلياً بمعنى الرجل ..
ولم شيء من المسفرة تساعل :

« لم أرك متحمساً إلى هذا الحد من قبل يا شريف »
« لأننى أهوى العدل يا راعى البقر .. »

الحنى الجوال على ركبته .. وتفحص أنوار لقدام
الجواد على الرمال .. ثم صاح لى الشريف :

« من أين تجيء بهذه الحنات الجميلة لجوادك ؟ »
« عم تتساعل بالضبط ؟ »

« إن هذه النقوش على الحنات تذكرنى بشيء ما ..
ألا ترى هذا معنى ؟ »

هنا كانت (عبير) قد فهمت ..

عنان هناك حصان يحمل هذه الحنات فى (هيل
تاون) .. وقد أدركت معنى وجود حصان آخر
أن هناك اثنين من (إخوان الدم) فى البدة .. هذا
مستحيل إلا لو كان الشريف هو

« زعيم جماعة (إخوان الدم) ! »

قلها الجوال وهو يشير إلى النقوش على الرمال ..

كأن الشريف وهو يجف العرق على وجهه ، ويرفع
السروال الذى تساقط عن كرشه العملاق :

« إخوان ماذا .. هم تعرف يا راعى البقر ؟ »

قال الجوال بينما الصمت الرهيب يغمر الجميع :

« أنت تعرف أننى محق .. كنت تتظاهر بالكل
والفراخ .. ومعا كنت تغير تيرات صوتك فلم أستطع
.. ولم يستطع عضو (هيل تاون) نفسه .. أن يعرفك ..
لكنك ظلت متشبهاً بالبروتوكول الأخضر الذى يحتم أن
تضع هذه الحنات على حوائر حصانك .. لكنك تعرفنى
جيداً .. كنت تراقب طيرة الوقت .. وأنت من جفنتنى
تلك الليلة فى (أوهايو) .. سيكون سهلاً على أن
أكشف جرائمك للعدالة .. والمشفقة هى العلاج الناجع
لكل الأمراض العنصرية .. »

« أنت غدوت ثوراً يا راعى البقر .. »

قالها الشريف وهو يداعب لجام جواده .. ويردف :
« لقد كانت شيمتك الصمت .. وهذه هى مشكلة
أمثالك .. يقتلون بصحة طيبة طالما حافظوا على
صمتهم .. لكنهم ما لبثوا يتخلوا عن هذا الصمت حتى
تحين نهايتهم المعروفة ! »

النجم ينطلق كالرصاصة في وجه الجوال الذي كان لا يزال واقفا على الأرض قرب حوافر الحصان ..
وصرخ هذا وهو فوق الرمال .. لابد أن الألم كان مريعا .. ولكن الجواد لم ينو تركه لحال سبيله .. واج يحاشيه بحوافره ويخلطه بينهما دون وعمة أو نومة عطف ..

هتب الجفراول وقد أحنقه ما يحدث :

- « توقف أيها الشريف حتى نفهم ما يحدث ! »
لكن الشريف لم ينتظر .. سرعان ما أدار مقوده جواده وانطلق لا يلمح على شفه مبتعدا عن حشد الجنود .. وجاوب أحد الجنود أن يوقعه بجانب النجم .. لكنه تلقى ركلة في وجهه أطارت الأسمان الثلاث الباقية في قمة ..

- « هاجموووووا ! »

كذا صاح الجفراول ملوحا بسيفه .. وعلى الفور اتخذ الرجال أوضاع التصويب نحو القارمن المنطلق بجواده ليشتفي في الأفق ..

- « لا !! دعوه !! إنه في !.. »

صاح الجفراول بوجه غارق في السماء والرمال .. ونهض على ركبتيه .. وهرع إلى جواده وامتناد ..



صاح الجفراول يرمحه غارق في الدماء والرمال ..
ونهض على ركبتيه .. وهرع إلى جواده وامتناد ..

وجذب اللجام . فلم تر (صبير) مغرأ من استطاع
جودها للحاق به .. فهي لا تريد أن يهلك هذا المعنود ..
يجب أن تكون جواره لتتبع هذا ..
صاح الجنرال في رجاله :

« لا تطلقوا النار يا رجال .. دعوا هؤلاء
المعنودين يسبون مشاكلهم مع بعضهم .. »
ثم إذ رأى بعضهم مازال مصمماً على التصويب :
« كفى ! . ساحول أول من يعصى أمري إلى
محاكمة عسكرية ! »
فخض الرجال بنادقهم آسفين ..

* * *

بين الأشجار الكثيفة توقفت الشريف ..
من جعبته أخرج شيئاً ما .. هذا الشيء هو عيافة
ولثام .. وضعهما على رأسه فغدا من إخوان الدم ..
سيكون الانتقام وهيباً .. ولن يقتصر على الحمر
والصفر والسمر . بل سيشمل البيض الثوب يعاونون
هؤلاء .. أولئك الذين لا يفهمون فلسفة هذا المجتمع
الخالصة ..

ولكن يجب أولاً أن يجد مكاناً آخر للاجتماعات ، ثم
يرسل الحمام الزاجل إلى من بقي من رجاله .. وعندئذ

يبدأ المرح .. سيعون عليه أيضاً أن يجد أعضاء
جديدين لـ (هيل تاون) وسواها من المدن ..
أما عن أعقد ما في الأمر فهو البحث عن شخصية
جديدة في بلد جديد .. ربما صار صاحب حامة أو
مارشالاً جتلاً .. من يدري ! للأسف لا توجد مهنة
كثيرة في الغرب للاختيار فيما بينها ..

وفجأة لم يدر بنفسه إلا وهو يطير من فوق سهوة
الحصان ليتدرب أرضاً ، ويتهشم كل عظامه ..
أترك أن هناك حيلة يحفظ جسمه . وأن هناك من
رماه بأنشوطته من مكان ما ..

بالفعل .. يرى قنمين أثويتين وقنمين نكريتين
ترتديان جذاء الركوب ذا المهارتين ..

قال وهو يستل في جلسته ويذيع لثامه عن وجهه :
« أنت بارع يا جوال .. »

« باب ! »

قالتا الجوال ودس لثافة تبغ مشتعلة في قم غريمه
قال الشريف وهو يلوك اللثافة :
« والآن .. فلتك هذه المسرحية .. »

صاحت (صبير) في لهلة :

« نعم .. نعم .. أطلق النار على رأسه يا جوال »

ثم سمعت بالخجل من موتيتها ..

قال الجوّال وهو يرفع الأكشوطه عن خصمه ، وينفج الحبل حول ساعده :

« أريد تسوية عاتلة .. رجلاً لرجل .. الآن ! »

لاحظت (عبير) أن وجه الجوّال خال من الجروح .. كيف زال أثر اللجام من عليه ؟

هنا - على الفور - ظهرت الندبة على الفخذ .. وأمركت (عبير) أن (دى - جى - ٢) قد سها فكلوا ثم تدارك السهو !

الآن ولكم الزعم بقاء الحبل عن صدره وينهض ببطء :

« أنت تريدها تسوية يا جوال .. هنا يروق نى .. ! »

* * *

الآن يسود الصمت القلبي ..

حتى الطيور كفت عن تبالل المسباب .. والأشجار كفت عن الاهتزاز .. والهواء كف عن الصفير بين الأغصان ..

إنها أروع اللحظات فى قصص الغرب طراً ..

المواجهة بين فلانين ..

خسعة خالصة من الأشجار يقف الفلانسان فيها متواجهين ، وبينهما مسافة عشرة أمتار تقريباً ..

يد كل منهما تحوم جوار منمنمة الموضوع فى نظاله .. وعيناه لا تفارقان وجه غريمه ..

قالت (عبير) : « قى هلع وهى تتولى خلف جذع شجرة :

« كنت أظنكما ستمشيان بضع خطوات وتظهر كل منكما للآخر ثم تستديران وتطلقان .. »

قال الجوّال وهو يرمى خصمه قى ثبات :

« نأب .. ! .. هذه هى الطريقة الإنجليزية .. طريقة السادة .. أما نحن - الرعاع - فنقتال هكذا معتمدين على سرعة الإطلاق ودقة التصويب . »

ثم تركها وراح يسير فى نزدة نجاه خصمه ..

* * *

لا تسمع سوى صوت الكهين فوق الأرض ..

صوت ونين للمهمازين ..

صوت الأنفاس الثقيلة المتوجسة ..

صوت الصمت ..

وهنا رجلان يوشك أحدهما - ولا أرى من - على إلقاء الآخر بعد ثوان ..

الذهر للأبرع والأبق تصويراً والأقوى أعصاباً ..

لا شيء سوى الله

* * *

« هان وقت العودة يا فتاة .. »

استدارت لثرى من فوجدت (المرشد) واقفاً
يضغط نهاية قلعه كعادته وابشامة مزعجة على
شفاهه .

فى احتجاج صرخت :

« لئنأ لم تفلته بعد ! .. »

« بالعلم .. لقد عدل الجيش عن الهجوم ، وانتهى
(إخوان الدم) ، وسار السلام .. إن نتيجة هذه
المبارزة تحصيل حاصل .. »

لم يدر منى ولا كيف هوت الكلمة على وجهه .. ثم
غاصت الركلة فى أسفل بطنه . فاطلق آفة وتهاوى
راكعاً على رقبته :

« أو أياها ! .. أنت صرت شرسة يا فتاة .. إن تأثير
هذه الكمص العتيفة على أخلاقك تأثير .. أوووو !!
قلقى ! »

« كل ما أعرفه أننى إن أتركك تبغضنى عن ضا -
كما فى كل مرة - دون أن أعرف ما حدث للجوال حقاً »

وهنا سمعت صوت الطلقة ..

* * *

رأت الجوال يسقط أرضاً والدم يملأ أعلى ذراعه
صرخت فى حلق .. لم تصدق ما يحدث .. هرعت
إليه ووسدت رأسه على صدرها .. وبوجه ملغم بالموت
نظرت إلى الزعيم :

« أنت أيها الله »

كان واقفاً يرمقها بلا تعب .. المسدس فى يده
يتبعث الدخان من فوهته .. و ..

ثم سقط على وجهه كحجر ..

عندئذ تحرك الجوال .. وفهمت (عيسى) ، لقد
انطلقت الرصاصتان فى ثانية واحدة .. وثالثت رصاصته
الجوال هى الفتاة ..

همست فى أذنه :

« أنت جريح ! »

قال لأهلاً :

« هذه هى تقاليد القصة .. كل ما هناك هو أننى
سامزق قميص الوغد ، وأستعج بجهيرة .. فى قصص
(الوسترن) لا يصير الرصاص مشكلة .. فقط فى
المساء أهاول التزاع الرصاص بخنجر محمى .. و .. »

من هذا ؟

وأشار نحو (المرشد) الذي وقف على بعد خطوات
ينظر حتى تنتهي (عبير) من الاطمئنان ..
ولم ينظر الجوال الإجابة .. بل أردت يجيب عن
سؤاله :

« أنت (المرشد) أليس كذلك ؟ »

« بلى .. في خدمتك .. »

نهض الجوال لهاثا .. وقال وهو يمسك ذراعه :

« أبلغ الإمارة في (فانتازيا) أنني لم أتكلم
رأيتي منذ شهرين .. كما أنني طلبت مستحسنين جديدين
فلم يعاها أحد .. »

« إنه التضخم كما نعلم .. »

« لطيف أن أعرفك يا زميل .. »

كان الغروب يلقي بعباءته الأرجوانية فوق الوجود ؛
حين ودع الجوال (عبير) و (المرشد) وابتعد بجواده
نحو الألف الغريب .. فهو جوال .. وحياته هي أن يجول
حتى يموت ..

دعته اتحدت على خذ (عبير) وهي تسمعهم يتترنم
من بعيد :

« أنا مطلوب حيا أو ميتا .. »
لهذا سارحل يا صغيرتي ..
ولكن من سيأتي من أهلي ؟
من سيأتي على روعي ؟
حين أتلقى من حبلى المشقة

خاتمة

في قصتنا القابعة نذهب مع (عبير) إلى أرض
التواغة ، ونركب عربا (رمسيس) الحربية لتواجه
(الحبيبتين) في (قاش) ..
سيكون هناك الكثير من الغبار والخيول الثائرة
والدماء ..

لكن هناك أيضا مقسقا للخيال .. منسقا لـ (فانتازيا) .

[تمت بحمد الله]

رقم الإبداع : ٥٢٦٦

الترقيم الدولي : ٥ - ٢٩٥ - ٢٦٠ - ٩٧٧

